كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

تخصص تاريخ

منهج الداعي في تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب الأوسط

(280هـ - 298هـ/ 893م - 911م)

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط

إعداد الطالبة

-حائشة بوطبة

إشراف الدكتور : طاهر بن علي

نوقشت وأجيزت علنا بتاريخ: **2016/05/25**

أمام اللجنة المكونة من السادة:

د/ مُحَمَّد تكيالين ..... رئيساً

د/ طاهر بن علي ..... مشرفاً

أ/ سليمان بن الصديق ..... مساعد

د/آمنة بن الصغير الحضري ..... مناقشا

الموسم الجامعي: 1436 – 1437هـ/2015– 2016م

قال تعالى:

« اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ».

سورة النور الآية 19

الإهداء

عندما تهجرُ للمجهول أسراب الحمام، ويلف الأفق ليل من ضباب وقتام

فأرى الظل الظليل في دعاء الوالدين الكريمين فبهما رسمتُ اللوحة المشرقة

أمي الحنونة التي ليس لها مثيل، وأبي العزيز

إلى جوارهِ الدفيء الذي لا يغادر خيالي عندما يهاجمني الخوف من كل الجهات زوجي الوفي (ب– ن) وإبني العزيز أحمد شعيب، وابنتي إسراء نور السجود.

إلى أستاذي الفاضل الدكتور: طاهر بن علي، صاحب القلب الأبيض الذي أعاننا طوال مشوارنا الدراسي.

إلى أستاذي الفاضل الدكتور: صالح بوسليم، عميد كلية العلوم الإنسانية– حفظه الله–.

إلى زميلي وأستاذي المحترم صاحب الابتسامة العريضة بن الصديق سليمان.

إلى عميد وعمدة التاريخ الأب والأستاذ: كواتي مسعود – حفظه الله وأطال الله في عمره–.

إلى جميع أساتذي الأفاضل: بحاز إبراهيم، تكيالين مُحَمَّد، ملاخ عبد الجليل، بن الصغير آمنة صاحبة الوجه البشوش والقلب الطيب، وزميلي الأستاذ: الدهمة بكار

إلى كل من فتح لنا أبواب قسم التاريخ بدون تكبر: الأستاذ: بن قومار جلول، وصاحبة القلب الكبير والوجه المنير: سعاد وحدة، محجوب الزهرة التي كانت دائماً سنداً لي في السراء والضراء.

إلى مستشار التربية صاحب الفضل الكبير: أولاد العيد بلفتوح، الذي أحب العلم وأعانني في عملي لمواصلة دربي، أتقلت عليه بخروجي المستمر للعلم، وأعانني في عملي لمواصلة دربي.

إلى جوارها الدافئ الحنون الأستاذة الفاضلة : دهان ربيعة، وعمدة اللغة الفرنسية صاحبة القلب الطيب الأستاذة: زيغمي نادية (المترجمة) – حفظها الله–

إلى كل زملائي في العمل، إلى تلاميذي الأعزاء (3 آداب وعلوم إنسانية 1–2 و3لغات).

إلى الأستاذ والدكتور الذي لم يبخل عني بمعلوماته: سفيان عبد اللطيف بجامعة وهران. س، ل

إلى شنيني عبد الوهاب الذي ساعدني في الكتب، وإلى صاحب الخير الذي أعانني وقت الضيق: جمال مصباح

إلى الأستاذ الفاضل مدير متحف جيجل الذي ساعدني في مذكرتي هذه عبد الحكيم.

إلى إخواتي وأخوتي من الكبير إلى الصغير كلٌ باسمه

من المدير إلى البواب أهدي هذا العمل والجهد المتواضع

وأختم إهدائي المتواضع هذا بقول الشاعر العربي:

ليس بإنسانٍ، ولا بعاقل　　من لا يعي التاريخ في صدره

ومن درى أخبار من قبلهِ　　أضاف أعماراً إلى عمرهِ

الطالبة: بوطبة عائشة بنت الجيلالي

شكر وتقدير وعرفان

أتقدم بالشكر أولاً إلى أستاذي المشرف الدكتور: طاهر بن علي
الذي قدم لي كتباً تتناول الموضوع في السابق (السنة الأولى ماستر)،
قمت بنسخها لاستعمالها في ما يتوجب الموضوع.
والأستاذ بن الصديق سليمان، الذي جلب لي كتب "بوبة مجاني".
أتقدم بالشكر ثانياً إلى عامل المكتبة الجديدة بغرداية، صاحب الوجه البشوش "حكيم".
إلى مدير المكتبة الجامعية العقيد الحاج لخضر – باتنة– وبالأخص العامل "إسماعيل".
إلى مكتبة البلدية نقاوس، ولاية باتنة بمساعدة ولد خال زوجي رئيس بلدية نقاوس.
إلى مكتبة عين التوتة ولاية باتنة.
إلى مسؤولي وموضفي مكتبة بلدية بيطام، دوار بيطامات، بعين التوتة
(منطقة خارجة عن المدينة ب، 25كلم).
إلى عاملة مكتبة الجامعة المركزية بواد سوف.
إلى أستاذ جامعة وهران الأستاذ الدكتور: (س، ل)
الذي أعانني على فهم كتاب إفتتاح الدعوة، وكتاب المناظرات لإبن الهيثم.
إلى كل الأساتذة الذين ساهموا في ترجمة ما أحتاجه من كتب أجنبية.
إلى كل من جلب لي معلومات، والنسخ المصورة، إما عن طريق الفاكس، أو البريد الإلكتروني،
أو الهاتف بنوعيه النقال والثابت، وكل من جلب لي الأقراص الإلكترونية.
إلى أصحاب الخير الذين جلبوا لي الكتب وأنا في فترة حمل.
«الدال على الخير كفاعله»

المختصرات

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ط	طبعة
ج	جزء
(د، ت)	دون تاريخ
(ب، ط)	بدون طبعة
تح	تحقيق
تع	تعريب
راج	راجع

المقدمة

المقدمة:

إن المهتم بالدراسات التاريخية الوسيطة، التي تبحث في خبايا التاريخ الإسماعيلي الفاطمي بالمغرب الإسلامي، ولاسيما تاريخ المغرب الأوسط، الذي يُعد لغزاً بسبب الغموض الذي يحيط بالكثير من فصوله، هو ما يجعل الدارس لهذه الأحداث يلحظ أنها لم تنل قسطاً وافراً من البحث، والتنقيب، وما زال ينتابها القصور، لعل الدراسات الحديثة من قبل بعض الباحثين المعاصرين أعطت شمولية جادة، وكافية عن الموضوع، وقد أدت المرحلة المغربية من الفترة التأسيسية للدولة الفاطمية بالمغرب دوراً بارزاً في توطيد، وترسيخ منهج الداعي، إلا أنها تعد أقصر مرحلة من فترة الدعوة السرية بكتامة، كما كان لهذه القبيلة شأناً مرموقاً في تمكين المذهب الإسماعيلي على أرضها الخصبة الجبلية الوعرة بتدليل الصعوبات أمام دعاتها الأوائل لتمهيد أرضها مع تقديمها الحماية لهم، وللمذهب وفكره، وإن وجود هذا الرجل لم يكن بالأمر الهين، ولا بسهل، وإنما بتخطيط دعوي شاق، ومرير وصل إلى حد امتشاق السيف لتحقيق أَنسُب السيادة الحزبية لآل البيت العلوي، وهذه الأحقية بالخلافة هي موروث تولدت منه أحزابٌ سياسية، وفرقٌ عقائدية عصفت رياحها بصراعات متاججة انجرت عنها دعوات سرية، وأخرى علنية، وصراعات فكرية دينية، وعسكرية، قادها صاحب البذر المنتظر "أبو عبد الله الشيعي"، واعتمدت على ذكر هذا اللقب من ألقابه لكثرة وروده في المصادر والمراجع التي لها صلة بالموضوع، فضلاً عن ألقابه الأخرى، التي كانت بمثابة الستار الغامض الذي يتخفى من وراءه، حيث كان لهذا الرجل أثر أين ما حل، لكن انتصار منهج الداعي نجح بسواعد الكتاميين في تحقيق حلم السلف بتأسيس دولة قوية الأوتاد بالمغرب الأوسط، لكن انتصابها بالمغرب الأدنى عجل بنهايته.

التعريف بالموضوع:

ومن هذا جاء موضوع مذكرتي موسوماً بعنوان "منهج الداعي في تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب الأوسط" (280هـ-298هـ/893م - 911م)، دل عنوان موضوعي هذا على الطريقة، والأسلوب، الذي أسميتهُ بالمنهج، وكيف استخدمه الداعي في استمالة القبائل بما فيها دول المغرب

الأوسط؟ عن طريق التخفي، والتخطيط، واتخاذ وسيلة العلم ذريعة واقية، وخدعة واهية لتحقيق مآربه، حيث استخدم في المغرب الأدنى المنهج النظري الاستكشافي، وفي المغرب الأوسط التمويهي.

دوافع اختيار الموضوع:

دفعني ما وجدته من إهمال عن الموضوع في حد ذاته، فأردت أن أُبرز، ولو بقليل جوانب هامة عن هذا الموضوع، وأن أبرز وأُظهر الدور الذي قام به الداعي في المغرب الأوسط من خلال تأثيره للمذهب الإسماعيلي، كما أردت دراسة منهجه من خلال تأثره وتأثيره بالمجتمع الكتامي وأن أثبت لقارئ التاريخ مدى نجاح هذا المنهج في تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب، فقسمت دوافعي إلى ما يلي:

أ -دوافع ذاتية: عشقي الشديد لمثل هذه المواضيع الصعبة، والشاقة التي تتطلب نوع من الجهد، والصبر للوصول إلى ما هو جديد.

وأردتُ كطالبة باحثة متواضعة أن أسلك ولو بقليل طريق الأستاذ الدكتور موسى لقبال — رحمه الله- بمسالك تستحق التشجيع من خلال شجاعتهِ، وتحدياتهِ الصعبة لمثل هذه المواضيع.

ب -دوافع موضوعية: تمثلت في أهمية الموضوع في حد ذاتهِ من خلال جوانبه، ومن حيث القيمة المعرفية لهذا الموضوع من خلال المصادر والمراجع، وصعوبة الموضوع من حيث أن كل مواضيع الشيعة ينتابها الغموض والإبهام.

ضف إلى ذلك دخول الكُتاب والمؤرخين من الباب الضيق، فهناك دراسات كثيرة عن دولة الشيعة ومتعددة فيتوجب علينا كباحثين جدد، وطلاب معرفة ضبطها وفق مناهج جديدة، ونظرة موضوعية.

الدراسات السابقة:

ولعل الدراسات التي سبقت هذا المضمار، وتناولها بعض الباحثين المعاصرين، كالبحث القيّم الذي تقدم به الأستاذ "موسى لقبال" لنيل درجة (دكتوراه دولة) في التاريخ الإسلامي والموسوم بـ: "دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية"، وبحث (دكتوراه دولة)، في النظم الإسلامية للأستاذة: "بوبة مجاني" الموسوم بـ: "النظم الإدارية في بلاد المغرب — خلال العصر الفاطمي- تحت إشراف الدكتور

"مُحَّد إسماعيل عبد الرزاق بقسنطينة 1995م، لم تتطرق للموضوع بطريقة مباشرة، بل اقتحمت جوانبه بصورة غير مباشرة، والتي تعد محاولات جادة لدراسات أشمل في هذا المجال، لكن الدراسة التي تناولها الدكتور "علي حسني الخربوطلي" عام 1972م بعنوان "أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية"، أعطت جزء هام عن الموضوع، وغيرها من الدراسات الأخرى، ومن بينها "المغرب العربي في العصر الإسلامي لمحمد حسن العيدروس"، و"تاريخ الفاطميين لمحمد سهيل طقوش"، إلا أن هذه الدراسات تبقى هامة ومرجعية ينهل منها الباحث وقت الحاجة، رغم إهمال بعض المصادر، وبخلها في التحدث بشكل واضح عن تاريخ المغرب الأوسط، ومناطقه المختلفة بطريقة مباشرة.

الإشكالية:

وانطلاقاً من هذه المقدمة التي أحاطت بجوانب البحث، سأتناول الموضوع من خلال هذه الإشكالية التي تطرح نفسها: كيف كان منهج الداعي في تأسيس الدولة الإسماعيلية انطلاقاً من بلاد المغرب الأوسط؟.

تكللت هذه الإشكالية بمجموعة من التساؤلات الفرعية لإثراء البحث:

- كيف كان التمهيد لنزول الشيعة بالمغرب؟
- كيف ناقش أبو عبد الله فكرة التشيع مع كتامة؟.
- إلى أين آل الصراع على السلطة في بواكير العصر الإسلامي ببلاد المغرب؟.

الخطة:

وعملاً بالشروط المنهجية المتبعة والمقررة في جميع الرسائل الأكاديمية، فقد قسمت بحثي هذا إلى فصل تمهيدي، وثلاثة فصول، بحيث جزأت كل فصل بثلاث مباحث، وخللته بعناصر ثانوية تخدم الموضوع، وفي الأخير ذيلت بحثي بخاتمة رصدت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ثم أرفقتها بعدد من الملاحق في شكل صور زيادة في التوضيح.

أما الفصل التمهيدي: عنونتهُ بأوضاع دولة الأغالبة قبيل قيام دولة الفاطميين، حيث قدمت فيه عرضاً وجيزاً عن تدهور أوضاع دولة الأغالبة، والتي كانت بمثابة الفرصة الذهبية التي أثارت لعاب الفاطميين إليها، منذ اعتلاء "إبراهيم بن أحمد" الأغلبي الملقب بـ"إبراهيم الثاني" العرش .

والفصل الأول كان عنوانهُ بواكير الدعوة الشيعية بالمغرب، تناولت فيه جهود الداعيان أبو سفيان، والحلواني في تمهيد وحرث الأرض لصاحب الزرع في المجالات الكتامية، ثم تطرقت إلى مكان التقاء "أبو عبد الله الشيعي" بحجاج كتامة والدعوة الشيعية، وعرضت فيه نزول الداعي المشرقي عند كتامة.

وخصصت في الفصل الثاني الذي كان عنوانه الصراع الفكري (الدعوي في نشر التشيع) للمغرب، خلافات كتامة على الداعي، واستهليت فيه إلى بداية الاحتكاك الأغلبي للدعوة الشيعية، ثم وضحت فيه هيكلة فكرة التشيع عند كتامة.

أما الفصل الثالث جاء تكملة للفصل الثاني، حيث درست فيه الصراعات العسكرية بين الداعي، وسلطة الأغالبة بالمغرب، وركزت في دراستي على الصراعات في مجالات المغرب الأوسط، وتطرقت إلى عرض لأهم العوامل المساعدة على قيام الفاطميين بالمغرب الأوسط، ثم تناولت دراسة جديدة ألا وهي انتصار فكرة التشيع من خلال كتاب إفتتاح الدعوة لصاحبه القاضي النعمان.

واعتمدت على كثرة الإشكالات في مضامين الفصول لأفك لغم الشكاك.

المنهج المتبع:

ولمعالجة الإشكالية، والتساؤلات الفرعية، اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي، لحل إشكالاته والوقائع والأحداث التاريخية كما هي، واعتمدت كذلك على منهج (التحليل التاريخي) بهدف تحليل الظواهر، والأحداث المختلفة للوصول إلى أحكام محللة ومنطقية .

عرض لأهم المصادر والمراجع وتحليلها:

لقد اعتمدت في بحثي هذا على جملة من المصادر والمراجع المتنوعة في موضوعاتها وقدمتها بعرض مُوجز، وتمثل ذلك في كتب التاريخ، والجغرافيا، والتراجم، والطبقات، والسير، وغيرها، ولعل أبرزها:

1) كتب التاريخ:

لاحظت أنه من بين المصادر الأصلية التي احتلت الصدارة في موضوع بحثي هذا كتاب أنبغ فقهاء الشيعة الإسماعيلية، وأعلام علمائهم، ويعتبر من أهم المصادر الفاطمية.

1 1) "رسالة إفتتاح الدعوة" للقاضي النعمان (ت: 363هـ/974م)، وهذه الرسالة تعد قصة متكاملة عن الحركة الإسماعيلية، ولاسيما في دورها المغربي، والتي تطورت إلى نظام خلافة، وأفادتني رسالته في تنظيمات "الداعي" "أبي عبد الله الشيعي"، وعن مجمل الأحداث التي شهدتها قبائل كتامة في المنطقة، ودورها الفعال في قيام الخلافة الفاطمية، وأهم المعارضات والخلافات التي اصطدم بها الداعي انتهت بصراعات ناجحة له، كما أشار الكتاب أيضاً إلى بعض صفات الكرم، والشجاعة، وتوقير العلم، والعلماء، ومن الملاحظ أن الكثير من المؤرخين أمثال "ابن الأثير"، و"ابن خلدون"، و"المقريزي"، و"النويري"، اعتمدوا على رواية النعمان الخاصة بأحداث كتامة، وإفريقية.

1 2) "المجالس والمسايرات" لنفس المؤلف المذكور: يعتبر هذا الكتاب مخطوط من الوثائق الإسماعيلية الهامة لمعرفة الدور المغاربي للخلافة الفاطمية، استفدت منه في التهميش بالنسبة للتعريف بشخصية القاضي النعمان، من حيث التحول الفكري والمذهبي من منهج مالك السني إلى اعتناقه مذهب الإسماعيلية، وبهذا يعد النعمان من أوائل المصادر التي تناولت بداء الدعوة الفاطمية في مهدها الأول ببلاد المغرب.

1 3) "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لإبن عدارى المراكشي (ت: 712هـ 1312م)، ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة في بعض أجزائه، يعد مهم في تاريخ المغرب، فهو يبين كل الأحداث التي مر بها المغرب الإسلامي، ونذكر بالأخص العصر الفاطمي، وبعض التغيرات

الدينية التي أدخلها الداعي عند قدومه إلى كتامة، وغيرها، واستفدت منه أيضاً في أوضاع دولة الأغالبة ويبين لنا بإسهاب انتشار الحركة الإسماعيلية في ديار كتامة.

1 4) أما في كتاب "عيون الأخبار وفنون الآثار" لداعي إدريس عماد الدين القرشي (ت: 227هـ/1423م) اكتفيت بالقسم الخاص بـ"تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب" الذي تناول الصراع السياسي العسكري لداعي، مع مجمل انتصاراته مع الأغالبة، بالإضافة إلى ما أشار إليه من صفات المروءة، والكرم، والشجاعة التي تميزت بها قبيلة كتامة.

1 5) يعتبر كتاب "اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء" للمقريزي (ت: 845هـ 1441م) مصدر هام عن الدولة الفاطمية، اعتمدت على هذا الكتاب لاحتواءه على مادة غزيرة، لأن المقريزي نقل رواياته عن كتب كثيرة فقدت، ولم تصل إلينا، وما يميز المقريزي أنه التزم فيها الموضوعية، والحياد في تناوله لتاريخ الخلافة الفاطمية، ولو أنه اعتمد في أغلب رواياته على القاضي النعمان، إلا أن كتابه هذا امتاز بدقة المعلومات ووضوحها خاصة عندما تعرض للدور الذي أدته كتامة.

1 6) "ابن حماد أبو عبد الله مُحَمَّد الصنهاجي"، (ت: 626هـ/1230م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، والمؤلف كما وصفه الغبريني [1]، بأنه فقيه ثقة، من كبراء الأئمة، كان له مجلس علم ببجاية، وقد جاء الكتاب على صغر حجمه حافلاً بالأخبار خاصة ما تعلق بنسب الفاطميين، وخلفاء الدولة الفاطمية في المرحلة المغربية.

1 7) ابن الأثير، علي بن محمج بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بإبن الأثير الجزري، (ت: 1630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، والذي يعد من أوفر المصادر المشرقية، وأحفاها بالمعلومات الخاصة بتاريخ المغرب، وتناول كل حوادث العصر الفاطمي في دوره المغربي والمصري.

---

[1] الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص192.

1 8) الشهر ستاني، مُحَمَّد بن عبد الكريم، (ت: 548هـ/1153م)، تناولت هذا الكتاب الكثير من معتقدات الشيعة الإسماعيلية ومفهومها.

1 9) ابن النديم، (ت: 382هـ/993م)، كتاب الفهرست، تناولت هذا المصدر المذهب الإسماعيلي من وجهة نظر أهل السنة.

2) كتب الطبقات والتراجم والسير:

2-1) "سيرة الأستاذ حودر أبو علي منصور العزيزي (ت: 361هـ)، وهو من الصقالبة، من أعوان الدولة الفاطمية، وحدد من خلال كتابه مكانة كتامة، وأنها أشد قبائل البربر، وفيه اكتفيت بما يهمني فقط.

2-2) أما "وفيات الأعيان وأنباء الزمان" لابن خلكان (ت: 681هـ/1281م)، فقد أفادني في تقديم تراجم وافية لأهم الشخصيات السياسية والعسكرية التي أسهمت في إحداث الخلافة الفاطمية، واكتفيت منه بمعلومات عن الداعي.

2-3) القلقشندي (ت: 821هـ/1418م)، "نهاية الآرب في أنساب العرب"، اعتمدن في هذا المصدر لمعرفة أصل الداعي، وتعدد ألقابه، واكتفيت بهذا القدر فقط.

2 1) الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت: 670هـ/1271م)، يعتبر من أهم المصادر الإباضية، تناولت فيه أهم صراعات الداعي على الدولة الرستمية (تاهرت).

3) كتب الأنساب:

3-1) ابن حزم، أبو مُحَمَّد علي بن أحمد (ت 456هـ-1064م) الفصل في الملل والأهواء والنحل، تناولت منه مفهوم الشيعة الإسماعلية، ويعتبر من أهم المصادر الذي يعتمد عنها في مواضيع النحل والملل.

3-2) ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن مُحَمَّد (ت: 808هـ/ 1406م) مقدمة ابن خلدون وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم، والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، يُعد هذا الكتاب أهم مصادر تاريخ البربر في العصر الوسيط، وفائدته عظيمة لا يمكن

حصرها، وتناولت منه خصائص البربر، والتعريف بهم، وطباعهم، وفي المقدمة تناول الكتاب قبائل كتامة، ودورها في مساعدة الداعي على إرساء قواعد الدولة الفاطمية ببلاد المغرب.

4) كتب الرحلة والجغرافيا:

وقد أمدتنا هذه المصادر بالعديد من التفاصيل التي أغفلها المؤرخون، وترجع أهميتها إلى هؤلاء الجغرافيين، بتسجيل كل ما عاينوه عن أحوال العديد من المدن والأقاليم، نذكر منها:

4-1) "صورة الأرض" لابن حوقل النصيبي، (ت: 367هـ/978م)، الذي زار بلاد المغرب الإسلامي في حوالي سنة (ت: 330هـ/841م)، فهو كتاب دو أهمية بالغة، بالإضافة إلى وصفه الدقيق للمنطقة، وحدودها الجغرافية.

4 2) "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" للبكري، (ت: 487هـ/ 1094م)، فقد كان البكري حريصاً على ضبط أسماء القبائل، والمواطن القديمة، رغم أنها بلسان البربر، ويعتبر كتامة من أهم مصنفات عصره، ونقل منه "ياقوت الحموي" في معجمه، وأفاد منه الكثيرون.

4 3) البكري فقد أسهب في عرض تواريخ المدن المغربية نقلاً عن "مُحَمَّد بن يوسف الوراق" (ت: 363هـ/973م)، كما زودنا الكتاب بمعلومات غاية في الأهمية.

4 4) "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت: 626هـ/1239م)، استفدت منه في تحديد مواطن كتامة، وبلاد المغرب الإسلامي عموماً، ويعد هذا الكتاب من المصادر الأساسية لمعرفة أسماء المدن المغربية، وتحصلت عليه قرص مضغوط وهو مجزء إلى أجزاء.

4 5) المقدسي (ت: 388هـ/997م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، قادني إلى بعض مدن كتامة في بلاد المغرب، ولاسيما المراكز الأولى التي اتخذها الداعي.

4 6) "البلدان" لليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: 2084هـ 898م)، الذي زار المغرب، ودّون مشاهداته، ونقل عن أهله، وقدم لنا معلومات دقيقة عن طبيعة المغرب، واستفدت منه في جوانب عديدة من البحث.

5) المراجع الحديثة:

استندت في هذه الدراسة إلى مجموعة من المراجع العربية، والأجنبية، نذكر منها البعض:

كتاب "السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الّإسلامي" للدكتور مرمول مُحَّد الصالح، وكتاب "تاريخ المغرب وحضارته" للدكتور حسين مؤنس، وكتاب "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع" للأستاذ جودت عبد الكريم يوسف، وأفادني في هجرة الرستميين نحو مناطق عدة عندما استولى عليها الداعي.

كما استعنت بأبحاث ودراسات حديثة لها علاقة وثيقة بموضوع البحث نذكر منها: كتاب "المغرب العربي في العصر الإسلامي" لمحمد حسين العيدروس، الذي هو في غاية الأهمية، وكتاب "دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية" للدكتور "موسى لقبال" – رحمه الله–، وكتاب "دراسات إسماعيلية" للدكتورة بوبة مجاني، وكتاب "تاريخ الفاطميين" للدكتور مُحَّد سهيل طقوش، وكتاب "دول الخوارج والعلويين" للدكتور بوزياني الدراجي، وغيرها، وكانت كلها بحوث جادة في الموضوع مكنتني من توضيح بعض الغموض الذي يكتنف المادة الخبرية، وغيرها من المراجع التي لم يتم ذكرها.

وقد تيسر لي الاطلاع على بعض المراجع الأجنبية في مقدمتها

سيرة الحاجب "جعفر" A.Cateau, La Sira de jafar-Hajib أفادني في ألقاب الداعي.

وكتاب Mouloud GAID: Aguellids et Romains en Berbérie, 3eme, Edition Mimouni

وكتاب Bousquet (G-H) : Les Berbères, Presses Universitaires *de* France, 1967 وغيرهم

كان اعتمادي على هذه المراجع بالقدر الذي يخدم الموضوع، لأن الباحث لابد أن يكون على حذر عند التعامل معها، على حد قول الدكتور بن علي «لابد من الحذر عند التعامل مع الوثيقة»، رجائي أن تكون هذه الدراسة قد فتحت آفاق جديدة للبحث في التاريخ السياسي للمغرب الأوسط، الذي لم ينل حضه من البحث والدراسة.

الصعوبات والتشكرات:

-الصعوبات:

وقد واجهتني العديد من الصعوبات خلال فترة البحث لعل من أهمها:

- قلة المادة الخبرية المتعلقة بمنهج الداعي، والمغرب الأوسط.

-صعوبات العمل.

-وعلى الرغم من هذه المعانات والعوائق كلها استمريت في مواصلة دربي من أجل الجهاد في سبيل العلم، واستكشاف ما هو جديد، ومعرفي، والله على ما أقول شهيد.

ويبقى أن أقول بأن اختياري لبحث منهج الداعي في تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب الأوسط، كان مجازفة حقيقية، لأن الموضوع جديد الدراسة، وتزداد المجازفة صعوبة عندما يفتقد المرء إلى الوسائل والأدوات التي تمكنه من التغلب على المصاعب، والمشاق التي تعترض سبيله، ويعلم الله أني كثيراً ما وقفت أمام مشكلة من مشكلات البحث أياماً وأسابيع باحثة لها عن حل، وأُقلب مئات الصفحات من أجل الظفر بخبر أو إشارة مفيدة، وكنت في كثير من المرات أعود خاوية الوفاض.

- التشكرات:

ولا يسعني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر والعرفان ولا أوفي حقه إلى أستاذي الدكتور الطاهر بن علي أستاذ التاريخ الوسيط بكلية العلوم الإنسانية بغرداية، الذي استفدت أنا وزملائي من غزير علمه، ونصائحه وإرشاداته، والأستاذ المساعد "بن الصديق سليمان" الذي تابع، وصحح هذا البحث بكل اجتهاد وإخلاص ولم يبخل عنا بتوجيهاته السديدة، وكان لنا عوناً وسنداً وقت الحاجة، كما أتقدم بالشكر الخالص إلى لجنة المناقشة، وإلى كل من كان له يد في ظهور هذا البحث، وإلى كل من ساعدني على إتمام هذا البحث من قريب أو بعيد، وهم كثير لا يسع المجال لذكرهم، وهم بين داعم بمصدر أو مرجع ، أو مشجع برأي.

وفي ختام تشكراتي حاولت بكل جهدي أن أشق طريق من سبقني في دراسة مثل هذه المواضيع، فقلدت متى وجدت التقليد مفيداً، وحاولت أن أكون مجددة متى رأيت ذلك مجدياً، وهي ليست بالدراسة الأولى لمثل هذا الموضوع في التاريخ الوسيط الإسلامي، ولا أبالغ إذا قلت أن هذه

الدراسة تعد الأولى التي تعني مباشرة بتاريخ منهج الداعي،لذلك قد تجد من النقد ما تستحق حتى تستوفي شروط الكمال، وحسبي أنني قد بدلت ما تيسر من الجهد على ما يشوبه من ضعف، وقلت خبرة، فإن أصبت فذلك محض توفيق من الله، لقول الله تعالى :

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

[البقرة: الآية286]

الفصل التمهيدي

أوضاع دولة الأغالبة

قبيل قيام دولة الفاطميين

تمهيد:

قبل التطرق إلى ذكر أوضاع دولة الأغالبة قبيل قيام دولة الفاطميين، تجدر بي الإشارة أولاً، ولو باختصار إلى الحديث عن جغرافية المغرب الأدنى باعتبارها قاعدة بناء صرح الدولة الفاطمية.

I) التعريف بجغرافية المغرب الأدنى:

ويُعرف المغرب الأدنى بإفريقية، وهي اسم لمنطقة شاسعة، ومملكة كبيرة مقابلة لجزيرة صقلية، وتنتهي بمقابلة جزيرة الأندلس، وسميت إفريقية لأنها فرقت بين مصر والمغرب[1].

وقد حددها المراكشي "أنطايلس" أي من برقة إلى قسنطينة غرباً، وتضم طرابلس كذلك [2]. لذلك سماها العرب "المغرب الأدنى"، وهي الأقرب لدار الخلافة الإسلامية في الحجاز والشام، وتشمل ليبيا، وتونس الحالية، وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر، وكانت عاصمته مدينة القيروان أثناء حكم الأغالبة، ومع صدور الإسلام اشتملت على عدة مدن منها: "باجة"، و "بونة"، و"بنزرت" و"قسنطينة"، و"صفاقس"، و"قفصة"، و"تونس"، و"سوسة" وغيرها[3].

أدى تدهور أوضاع دولة الأغالبة إلى جلب أطماع الفاطميين إليها، والذين سيرثون غنائم كبيرة من وراءها، وكان استغلالهم للأوضاع السياسية، والاجتماعية الدينية، والاقتصادية والثقافية خطوة فعالة، وناجحة من منهج الداعي الإستكشافي في مسيرة دعوته، وانطلاقاً من هذا يمكنني أن أطرح الإشكال التالي:

إلى أي حد آلت إليه أوضاع دولة الأغالبة قبيل قيام دولة الفاطميين؟.

1) الأوضاع السياسية

قمت بدراستها انطلاقاً من المدة الزمنية التي اعتلى فيها الأمير الأغلبي "إبراهيم بن أحمد" العرش، الملقب بـ"إبراهيم الثاني" (261هـ-875م)، استمر عهده إلى أكثر من 28 عام، تميز هذا العهد بظهور الداعي "أبو عبد الله الشيعي" الذي استقطب بدوره إلى دعوته عدداً هائلاً من القبائل[4].

---

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1955م، ص228.

(2) عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة، 1949، ص349-350.

(3) أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د ت)، ص10.

(4) مُحَمَّد حسن العيدروس: المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، ط1، 2008م، ص92.

اصطدم الفاتحون المسلمون إثر عملية فتح إفريقية بعدة صعوبات في منتصف القرن السابع ميلادي تمثلت في عجزهم الكبير في ضم بلاد المغرب إلى مملكتهم المترامية الأطراف (ق 8م) واستيلائهم على قرطاج مباشرة بعد الانتصار الكبير الذي حققته على القوة البيزنطية سنة (698م)، مع تمكنهم من صد المقاومة البربرية وسحقها إثر وفاة الكاهنة سنة (701م)[1].

نتج عن الأوضاع السياسية الغير ثابتة والمستقرة من جراء التنافس الحاد بين ولاة بني أمية ثمّ ولاة بني العباس بسبب كثرتهم في تعيين الولاة على إفريقية (تقريباً 20 والياً) في فترات متتالية أدى إلى ضعف وهشاشة الحكم [2]، بعد موافقة هارون الرشيد على جعل الولاية على أهل بيت إبراهيم يتوارثونها فيما بينهم ما داموا على الولاء الكامل للخلافة العباسية[3].

مرت إفريقية بسنوات عكرة، تخللتها الاضطرابات والقلاقل والفتن، إنجرت عنها ثورات دامية سببها الرئيسي ظلم وتعسف سلطة الولاة[4].

فاشتعلت ثورة "عبد الرحمان بن حبيب الفهري" ضد حنظلة بن صفوان، فعجز الولاة عن إخمادها كثورة "عيسى بن موسى الخرساني" ضد "مُحَمَّد بن الأشعث"، فتفاقم أمر الخوارج، البربر والإباضية والصفرية الذين تزعموا ثورات صحبتها اضطرابات اجتماعية، وأخرى دينية وسياسية ضد السلطة العباسية تحت غطاء النزاع الديني، وبهذا اعتبر القرن الثامن قرن اللا استقرار، مما أدى إلى حدوث اضطرابات في إقليم إفريقية[5].

وبعدها شهدت البلاد نوعاً من التوازن والاستقرار والهدوء في ظل حكم السلطة الأغلبية، لكن هذا الاستقرار والهدوء لم يمنع من وجود القلاقل والفتن والحروب الداخلية لنظام حكم الأسر المالكة، لكن الأمراء الأغالبة امتنعوا عن شن الغارات رغم وجود بعض التقلبات والثورات التي أقمعها الأمراء

---

(1) ابن عدارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار المغرب، ج1، نشر كولان وليفي بروفنسال، ط2، ليدن، (1948-1951م)، باريس، 1930م، ص119.

(2) ريمة درنيقة: الفتح العربي للمغرب والحضارة المغربية، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، 2012م، ص108.

(3) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقلهُ إلى العربية: فارس والبعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 8، 1979م، ص177.

(4) هشام جعيط: ولاية إفريقية في القرن الثاني هجري والثامن ميلادي، مجلة الدراسات الإسلامية، ص82-87.

(5) نفسه، ص107.

كثورة "زياد بن سهل" المعروف بإبن الصقلبية عام (207هـ- 823م) وثورة "المنصور الطنبدي" سنة (209هـ-824م) [1].

وفي الوقت الذي اعتلى فيه إبراهيم بن الأحمد الأغلبي (إبراهيم الثاني) العرش (261هـ-875م) ، أقر النظام ورسخ الأمن والاستقرار في ربوعها، لكن هذا الهدوء لم يكتمل فسرعان ما نخرت بوادر الانهيار جسدها، التي آل بها إلى السقوط البطيء ومن بين أسباب ضعف السلطة[2].

ميل إبراهيم الثاني إلى سياسة العنف والقسوة والقتل، وتميزه بالغلظة والشدة، إن مثل هذه العلامات سوف تؤدي حتماً إلى انحطاط الدول على حد قول إبن خلدون: «الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع»[3].

إن قوة وعظمة شخصية إبراهيم الثاني جعلت الأعداء من النصارى في صقلية، وشبه الجزيرة الإيطالية يهابونهُ، إلا أن هذا الرجل المريض نخر فيه الداء سنة (226هـ-880م) بظهور الخطر الطولوني الذي كشف عن عجز الجيش الأغلبي في التصدي لهُ إلا بعد جهدٍ جهيدٍ، وبعد مرور فترة من الزمن قرابة العشر سنوات، اشتعلت ثورة عرفت "بثورة الدراهم"[4].

إن قيامها كان بسبب الإصلاح النقدي الذي قام به إبراهيم الثاني لكن الشعب قابله بالرفض والاستياء، مما أدى ذلك إلى حدوث اضطرابات إنجرت عنها أزمة اندلعت سنة (280هـ-983م)، إنهار على إثرها النظام الأغلبي، وتزعزع كيان الدولة سنة (296هـ-909م) تحت تحرشات الكتاميين والبربر، ودخول الداعي "أبو عبد الله الشيعي" إلى إفريقية بمنهجه، ونزل عند "بني سكتان" في "إيكجان"[*]. حيث قام بإرغام القبائل الصغرى الولاء له في "رقادة"، وعجز إبراهيم الثاني على التصدي للثورة القائمة وأجلى الجند العربي في بلزمة[**].

---

[1] مُحَمَّد حسين العيدروس: مرجع سابق، ص90-91.

[2] ريمة درنيقة: مرجع سابق، ص113.

[3] عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، (1426هـ-1427هـ)، بيروت، لبنان، 2006م، ص297.

[4] ابن عدارى المراكشي: مصدر سابق، ص120-121.

[*] جمع أقجون، كلمة بربرية وتعني "الكلاب" وهي دار هجرة المشيعيين، تقع بجوار قرية بني عزني دائرة عين الكبيرة على حوالي 52 كلم إلى الشمال، وقد أطلقها أهل السنة تحقيراً وإهانة للشيعة الإسماعيلية. انظر: موسى لقبال: دور كتامة في الخلافة الفاطمية، ص358.

[**] تقع إلى الجنوب من سطيف على مرحلتين منها بالقرب من قسنطينة. ابن حوقل: صورة الأرض، ص91- 92.

وفي هذه الظروف نزل الداعي "أبو عبد الله الشيعي" عند قبيلة كتامة التي لا تعترف بسلطة بني الأغلب، إذ أنهم تخلوا عن الحملة العسكرية، ورفضوا المقاومة والقتال سنة (865م) في منطقة الزاب "أبو خفاجة"، وهو أحد قواد الأمير "أبي الغرانيق" وانتهى بهزيمة الجيش هزيمة نكراء، فشل من خلالها "أبو الغرانيق" في إخماد التمرد[1].

استطاع إبراهيم نصب فخ لهم بالحيلة، حيث قام بقتل ألف رجل من خيرتهم في مدينة رقادة، وقد أشار إليها القاضي النعمان في الافتتاح فقال: «كان إبراهيم بن أحمد قد اعتقل رجلاً في حبسه من أهل "باغابة" يقال له "كريم بن زرزور" لأمر نقمهُ عليه، فهرب من حبسه فأتى بني مالك ببلزمة مستجيراً بهم من إبراهيم بن أحمد فأجاروه»[2].

فقام إبراهيم الثاني بمعاقبتهم أشد العقاب انتقاماً منهم، وما كان هذا سوى ذريعة واهية لما يصبوا إليه بسبب حرصه من خلال قتل أفراد قبيلته التميميين على إبادة آخر من تبقى من العربي الذي حافظ على سلامة خصاله الحربية، وتعداد جيشه، وافتخاره بقبيلته، فهذه الحادثة ولدت أحقاد السكان على بني الأغلب، وكان بمثابة إنذار خطر على انتهاء دولتهم، وقد فتح جند حصن بلزمة ثغرة واسعة في الجبهة الدفاعية الأغلبية بسبب أن أصحاب حصن بلزمة من العرب كانوا يسيطرون على كتامة من البربر الذي كان يشرف على بلادهم[3].

إثر هذه الحادثة آلت الدولة الأغلبية إلى السقوط بسبب تمرد سكان المدن والأرياف على السلطة والخروج عنها، فقد اندلعت الثورة في "تونس"، و"الجزيرة"، ثم "الأربس"، و"باجة" و"قموذة"، ثم اشتغلت في كامل البلاد ما عدا منطقة الساحل، والشريط الساحلي الشرقي حتى طرابلس، فلجأ "إبراهيم الثاني" [4] إلى الخنادق التي حفرها حول رقادة إلى غاية استدراكه للوضع بسبب إخلاص عناصر حرسه الأسود فاستقر الوضع باستقراره في تونس التي افتتحها من جديد بقوة السيف، لكن الوضع في البلاد بقي على حاله [5]، بل ازداد تفاقماً، ونفور الناس من إبراهيم الثاني فأرسلوا مراسيل للخليفة العباسي "المعتضد" شاكين لهُ أفعالهُ، وسلوكه مع العامة، فغضب الخليفة منهُ

---

(1) ابن وردان: مستند تاريخ ملكة الأغالبة، تح: مُحَمَّد زينهم ومُحَمَّد عز، ص75-76.

(2) القاضي النعمان: إفتتاح الدعوة، تح: وداد قاضي، دار الثقافة للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1970م، ص48.

(3) مُحَمَّد طالبي: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص282.

Mohamed TALBI: L'Emirat aghlabide histoire politique maisonne, Paris,1966

(4) ابن وردان: مصدر سابق، ص96-97

(5) نفسه، ص97- 98.

وأرسل لهُ تحذير بأن يحسن معاملته مع الناس، إلا أن الأمير الأغلبي استمر على ما كان عليه خاصة في معاملته لسكان "نفوسة" عندما قام بحملة عسكرية ضد واليها "زيادة الله" ابن عمه، إلا أنهُ خاف من نجاح الدعوة الشيعية بزعامة الداعي "أبو عبد الله الشيعي" في كتامة، فابتعد عن محاربته خوفاً منه، اقتصر فقط على إرسال إنذارات شفوية عن طريق "ابن المعتصم"[1].

إن هذا الوضع غير من طبع إبراهيم الثاني من الأسوأ إلى الأحسن اتجاه الرعية، وبتحريض من الخليفة "المعتضد" إلى التنازل عن العرش لفائدة إبنهِ أبي العباس، والذهاب إلى صقلية لمحاربة النصارى (902م-989م)، وفي الوقت الذي ظهرت فيه علامات الخطر الشيعي بالمغرب انتقل الأمير الأغلبي إلى منطقة الشرق للقتال رغم أنها لا تمثل خطر على مملكته، ثمّ وجه أنظاره نحو فتح جزيرة صقلية والاستيلاء عليها [2].

وليس من العيب أن تترك جزيرة صقلية [*]، وهو مشروع وحلم قديم، وما شجعهم على الاستيلاء وغزو صقلية الأوضاع الداخلية السيئة التي كانت تتخبط فيها، وفي سنة (212هـ-827م) غزوا جزيرة صقلية حيث دارت رحى المعارك التي كانت بين فشل وانتصار، إلى أن انتهت بفتح صقلية، وإدخال العديد من الصقليين إلى الإسلام، وجعلوا منها قطباً حضارياً لا يستهان به، ومركز إشعاع فكري و علمي امتدت آثاره إلى جنوب إيطاليا[3].

إن من مميزات هذا الفتح أنهُ أعاد لإفريقية استقرارها الداخلي ببناء دولة قوية الأركان، إلا أن الحملة العسكرية التي أقرها "إبراهيم الثاني" في وقت غير مناسب، واستبعاده لحامية جنوده للدفاع عن بلده من الخطر الخارجي، فتحت شهية "الداعي أبو عبد الله الشيعي" للاستيلاء على "ميلة" سنة (289هـ-902م) ثمّ على "رقادة"، لكن إبراهيم الثاني لقي حتفهُ إثر حصار "كستة" سنة (289هـ-902م) وتولى بعده ابنه أبي الأغلب الذي تنازل عنها هو الآخر لأبن أخيه "زيادة الله"، حيث قام هذا الأخير على تحريض صقلية بالثورة على أبيه عبد الله الثاني وظل دائماً بمواقفه يسعى لانقاد

---

[1] ابن وردان: مصدر سابق، ص929-293.

[2] ريمة درينقة: مرجع سابق، ص110.

[*] جزيرة كبيرة قريبة جداً من سواحل إفريقية. انظر: ريمة درنيقة: مرجع سابق، ص112.

[3] ريما درنيقة: مرجع سابق، ص111.

الموقف بفضل دهائه وقوته ضد الداعي، فقد وجه حملتين قويتين متتاليتين إلى بلاد كتامة بقيادة ابنهِ "أبي حوال" الذي قام بجلب "زيادة الله" من صقلية واعتقله في قصره[1].

وكانت الأوضاع السياسية بين مدٍ وجزر، تارةً تتحسن، وتارةً أخرى تسوء، وترجع لسابق عهدها، لكنها ساءت أكثر في أواخر عهدها بسبب إسراف حكامها وعجزهم عن مواجهة ضربات المد الشيعي الذي أطاح ودمر دويلاتها الواحدة تلوى الأخرى[2].

2) الأوضاع الاجتماعية (التركيبة السكانية)

لقد عرف مجتمع المغرب الإسلامي على عهد الأغالبة مثل غيره من المجتمعات الأخرى تبايناً بين طبقاته الاجتماعية، انطلاقاً من الحاكم، وصولاً إلى الرعية، ومروراً بسائر فئاته، وبناءًا على ما تقدم نستهل حديثنا في هذا المضمار بالتركيبة السكانية على اعتبار أهميتها.

وصل عدد المجموعة البشرية السكانية المستقرة بإفريقية 150.000 ألف نسمة في فترة الفتح، وذلك مع منتصف القرن السابع ميلادي (7م) إلى نهاية القرن الثامن ميلادي (8 م)، وهي عبارة عن خليط من امتزاج العناصر البشرية السكانية المتعددة من "البربر"، والأفارقة، والروم وعناصر ذات أديان مختلفة، وإن كان غالبية السكان يدينون بالإسلام، فالبربر هم السكان الأصليون للشمال الإفريقي كانوا يقطنون الأراضي الممتدة من حدود مصر حتى المحيط الأطلسي، ومن البحر المتوسط حتى النيجر، وقد وصلوا حتى إلى أعماق الصحراء الكبرى، وليس لهم لغة مكتوبة، فقط لغتهم الدين يتخاطبون بها ومن أشهرهم قبائل بربر كتامة، يتواجدون بالسهول، والهضاب المزروعة ويعيشون على الري[3].

أما الرومان فهم من بقايا الرومان الذين يسيطرون على بلاد المغرب بعد سقوط قرطاجة الفينيقية، وعند الفتح، وبدخول العرب بدئوا يهاجرون شيئاً فشيئاً إلى مواطنهم الأصلية، وقد ظلت منهم جماعات قليلة اندمجت مع البربر[4].

---

[1] القاضي النعمان: مرجع سابق، ص51-52.

[2] فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ترجمة إلى العربية حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م، ص38.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون: تاريخ إبن خلدون، ج 6، تح: سهيل زكار وخليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000، ص127-128.

[4] عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، طبعة 2010م، ص121-122.

أما الأفارقة أصلهم من جنوب الصحراء الكبرى الإفريقية، كانوا في الأصل عبيد للرومان وكانوا يعملون في المزارع، بينما النصارى انتشروا في المناطق الساحلية قبل مجيء العرب، ويرجع الفضل إلى الإفرنجة التي أدخلت هذه الديانة إلى الشمال الإفريقي، وعندما طبق العرب سياسة التسامح الديني، لم يتعمدوا أن يصيبوا نصارى المغرب بأذى، واعتنقوا المسيحية في إفريقية[1].

أما العرب وهم القبائل العربية التي شاركت في فتح شمال إفريقيا، وأخذوا يستوطنون في تلك المناطق مثل القبائل القحطانية استوطنت ليبيا، وقبائل عدنانية (حمير) استوطنت طرابلس الغرب...الخ، ضف إلى ذلك المجموعات العربية التي دخلت المغرب بقصد التجارة أو إيجاد مكان آمن بعيداً عن أعين السلطة[2].

إن هذه الإحصائيات تبقى دائماً نسبية لقلة توفر المصادر التي تتحدث عن الموضوع، ويعود تواجد هذه الفئات إلى تأخر الفتح، وبالتالي تعطل انتشار الإسلام، ودخوله في ربوع المناطق بسبب المقاومات البربرية، والنزاعات السياسية والدينية، وبتزعم الأغالبة مقاليد الحكم تغير الوضع الاجتماعي في إفريقية بسبب تغير وتجديد الموظفين لهشاشة النظام الذي تخللتهُ الاضطرابات وكان ذلك في أواخر القرن التاسع ميلادي[3].

وأن الوضع الاجتماعي لم يستقر إلا بعد فتح صقلية، وبهذا ثمّ تدجين عدد كبير من الجند وتتريك البربر في عملية الفتح مع بقائهم تحت سلطة البلاد، وبانتشار الإسلام، ثمّ تعريب السكان في مناطق عديدة كالقيروان، و"تونس"، و"سوسة" و"صفاقس"، و"فاس" وغيرها، رسمت مزيج سكاني منظم محاط بالأسواق والمدن وغيرها، وصلت هذه العناصر الجنسية المختلفة التي تنتمي من جهة إلى العرب، ومن جهة أخرى إلى فئة الأعاجم (بربر، وأفارقة، وروم)، متماسكة وملتحمة [4]. حيث كان العنصر العربي يتحكم في المناطق الغربية للبلاد في المدن المحصنة "كقبائل بني مالك" وهي تنحدر من بطون "بني تميم" الذين يسيطرون على "بلزمة"، و"بني عبد الصمد" بطن من بطون "بني سليم" كانوا يسيطرون على حامية "ميلة"، وقبائل "بنو أبي خنزير" وبه من وجوه أهل "ميلة" وهم عرب من "ربيعة" يعرفون "بالسناجرة"، انظموا مع الداعية أبو عبد الله الشيعي، أما سطيف كان يقيم بها قبائل

---

(1) سالم فرج: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، الإسكندرية، 1981م، ص341.

(2) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج4، ط7، القاهرة، 1948م، ص128-129.

(3) الحموي ياقوت: معجم البلدان، ج8، القاهرة، 1906م، ص209-210.

(4) ابن عدارى المراكشي، مصدر سابق، ص78-79.

"بنو عسلوجة"، وينحدرون من قوم بني أسد "بن خزيمة" عمّا من قبل "ابن الأغلب"، ومنطقة "الزاب" كان يقيم بها قبائل "بني ضبة" يقيمون في منطقة "مقرة"، وقبائل طبنة كانوا يمثلون العرب والأعاجم (بربر، أفارقة، روم)، وفي "باغاية" كانت تتمركز قبائل الجند إلى جانب الخرسانيين وبقايا الروم، وفي منطقة "الجريد" نجد قوم من الأعاجم المسيحيين (الروم، والأفارقة) ومن البربر[1].

وتتواجد قبائل "وزداجة" حول "باجة"، ونقرة حول "تيجس" ونقرة أخرى بقرب "مجانة" و"مزاتة" ضواحي بلزمة، وبني ورديم في "باغاية"، و"هوارة"، و"بني ماجن"، و"بني معاد" في ناحية "تيجس" تتواجد كلها في الناحية الغربية، والشمالية الغربية للبلاد[2].

وباستقرار أوضاع الأغالبة في النصف الثاني من القرن التاسع شهدت توازن اجتماعي صحبه تلاحم تعايشي بين السكان الأصليين (البربر، الأفارقة، والروم)، والعناصر الدخيلة من (العرب والخراسانيون) مما أدى إلى امتزاج هذه العناصر في مختلف المدن التجارية، والصناعية كمدن القيروان، وتونس، وسوسة وغيرها، خلق هذا الوضع علاقات مشتركة بين مختلف الفئات ومن بين الفئات التي كان يتركب منها المجتمع الإسلامي في العصر الوسيط، الأرستقراطية والبرجوازية الثقافية، والتجارية، الشعبية، الحضرية والريفية، والموالي، والعبيد وغيرها، حيث كانت الطبقة الأرستقراطية تمثل المرتبة الأولى من الأمير وحاشيته، والمقيمين في القصر القديم، "ورقادة"، وفي المناصب العليا من العسكرية والمدنية[3].

كما كانت هناك مناصب عليا يُقلدها حكام الأغالبة لرجال الدولة كالحجابة، والبريد ومسؤولية الأقاليم، وكانوا يلقبون بألقاب عدة مثل "إبن قرهب" أو "ابن الصماصمة" وغيرها من الألقاب وكانت هناك عناصر للمجتمع الأغلبي تابعة للقبائل العربية، والجند الأموي، والعباسي وكانت تستقر في المدن الكبيرة مثل تونس، والقيروان، أو في المناطق الفلاحية "كالزاب"، و"باجة" و"صطفورة"، مع العلم أن العنصر العربي كان يحتل مرتبة عالية في السلم الاجتماعي، وهناك العنصر الأصلي، ومعظمه من البربر كان يمثل أهل المدن والأرياف، وكذلك عنصر العبيد، والطبقة البرجوازية التي تظم الأعيان الملتفين بالفقهاء المالكية، والأحناف، والتجار والأثرياء [4]، ويمكننا تقييم الوضع

---

[1] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص 86-78.

[2] نفسه، ص108-112.

[3] نفسه، ص107-108.

[4] محمد طالبي: مرجع سابق، ص293.

بقولنا أن الأوضاع الاجتماعية كانت بين مدٍ وجزرٍ، لكنها عرفت نوع من التوازن الاجتماعي منذ الفتح، حيث تفوق فيها العنصر العربي على حساب العنصر البربري الذي كان مهمش (كتامة) مثلاً، وأغلبهُ كان يستبعد إلى مناطق بعيدة عن البلاد تحت حراسة حاميات المدن المحصنة، لكن هذا التوازن سرعان ما تغير بنجاح الدعوة الإسماعيلية التي أيدتها كتامة[1].

3) الأوضاع الاقتصادية.

لم تشهد ولاية إفريقية منذ العصر الروماني إزدهاراً اقتصادياً، كالذي عرفتهُ خلال فترة حكم الأغالبة، إذ كان هذا الاقتصاد في العهود السابقة يعاني من الجمود والاضطراب، تخللتهُ حالات عدم الاستقرار بسبب الحالة التي كانت تمر بها البلاد، من حركات ثورية دامية كحركة "كسيلة"، و"الكاهنة"، إضافة إلى تشدد ولاة بني أمية على جباية الضرائب المفروضة على سكان المنطقة وقيام الخوارج على السلطة الأموية، لكن باعتلاء الأغالبة حكم إفريقية أخذت الأمور تتحسن[2].

وهو ما يفسر لنا أن أوضاع البلاد كانت سيئة من حين لآخر فانعكس ذلك على حالة البلاد الاقتصادية.

وبهذا فإن استقرار الأوضاع السياسية يؤدي إلى استقرار الأوضاع الاقتصادية، وبالتالي يؤدي إلى حدوث توازن وتكافؤ سكاني الذي بدوره يؤدي إلى انتعاش وازدهار الحياة الاقتصادية بشرط إذا كان هناك نظام حكم قوي، ومتماسك يضمن توفر الأمن والاستقرار لأهالي المدن والأرياف على حد سواء، يحمي المساكن البرية والبحرية بما فيها قوافل التجار والعابرين، ويسهل تنظيم المواصلات بالنسبة للطرق النائية مع تشجيع حركة المبادلات التجارية مع المناطق المجاورة، والخارجية، أما النظام الذي أقامه الأغالبة بعد هزائم الفتح أدى إلى الكثير من الاضطرابات والفوضى، والخراب، والمجاعة دام أكثر من قرن[3].

شهدت الأوضاع الاقتصادية تغيراً ملحوظاً خاصة في عهد إبراهيم الثاني، حيث ازدهرت الزراعة بتوفر الغلات المتنوعة، حي ارتفعت نسبة المحاصيل الزراعية، وعرفت تدفق هائل من الإنتاج الزراعي في منتوجات الزيتون، فإنتشرت معاصر في مناطق متعددة، لاستخراج الزيت، وزاعة العنب لاستخراج النبيذ (شراب الأغالبة المفضل)، نهيك عن زراعة الحبوب بمختلف أنواعها، أدى إلى انتظام حركة

---

(1) فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص45.

(2) مُحَمَّد حسين العيدروس: مرجع سابق، ص399.

(3) نفسه، ص400.

الأسواق وتعددها، لكنه سرعان ما تغير وتدهور في عهد البيزنطيين نتيجة الحروب الدامية إثر عملية الفتح، ثمّ شهدت الأوضاع الاقتصادية قفزة جديدة في العصر الروماني[1].

أما الثروة المعدنية فقد كانت تتألف من المعادن، كحديد، والرصاص، والكحل وغيرها، الأمر الذي ساعد على خلق صناعات متعددة، كصناعة السروج، ولجُم الخيل، وصناعة الصوف، والزجاج، حيث كان في القيروان حي يسمى "حي الزجاجيين" واشتهرت بصاعة الخزف والسجاد، والأفرشة، وتعدى اقتصادها حتى خارج الولاية، ولاسيما المشرق العربي [2]، حيث كثرة فيها الأسواق والمتاجر التي توافد عليها التجار من مختلف المناطق العربية الإسلامية وبهذا أصبحت القيروان مدينة تجارية بالدرجة الأولى، كما كانت لها مبادلات مع السودان (منطقة الشريط الساحلي)، حيث كانت تستورد منها الذهب، والرقيق، وريش النعام والحرير [3]، وإمتلئت أسواقها بمنتجات السودان، كما كانت قسنطينة وسجلماسة مركزاً هاماً من مراكز تجارة الذهب، ويبدوا أن المناطق الريفية كانت أكثر ازدهاراً من غيرها، ساعدت في دعم وانتعاش اقتصاد البلاد من زراعة متنوعة كأشجار الزيتون والفواكه والحبوب، وبعضها أتى بها الفتح كأشجار الخوخ والبرتقال والفستق والنخيل وغيرها، ثمّ حفر الآبار، وتوصيل قنوات الري وتميزت آبارها بتدفق مياهها[4].

وهو ما يبين لنا أن أوضاع دولة الأغالبة كانت مزدهرة في المجال الاقتصادي ولاسيما الزراعة، التي تعتبر الغذاء الرئيسي لسكان المنطقة، مما أدى إلى تحسن السكان وساد الربح، والخير بينهم[5].

ساعدت العملة النقدية على انتعاش الاقتصاد، وهي عامل من عوامل تطور الوضع في البلاد وكانت من أروع السكك التي ضربها أمراء الأغالبة[6].

وقد ازدهر الوضع باستقرار الأوضاع، وبفضله استعادت البلاد توازنها الاجتماعي، وإن العصر الأغلبي على الرغم من قصره لكنهُ يمثل فترة انتقال حاسمة في تاريخ إفريقية انتقلت فيه من قُطر مضطرب غير واضح المعالم، وغير محدد التكوين البشري والفكري إلى بلد واضح المعالم والسمات لهُ

---

(1) اليعقوبي: كتاب البلدان، المكتبة الجغرافية العربية، ط2، ليدن، 1829م، ص213.

(2) مُحَمَّد حسن العيدروس، مرجع سابق، ص400.

(3) ربما درنيقة: مرجع سابق، ص194-195.

(4) نفسه، ص 109.

(5) نفسه، ص 400.

(6) صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، الجزائر، د ت، ص421-422.

مدنه الزاهرة، ومدائنهُ العامرة، ولهُ ريفهُ الفسيح، الوفير الغلات، واختلاط سكانه من عرب وبربر، وممن كان يفد باستمرار من الخراسانيين والأندلسيين ظهروا في أواخر القرن الثالث هجري شعباً إسلامياً عربياً مكتمل التكوين، وله مكانهُ الواضح، المتميز على الخريطة العامة للعالم الإسلامي في عصره الذهبي [1]. سيرت الفاطميون عند استيلائهم على عرش "رقادة" الذي تخلى عنه زيادة الله الثالث، ولاذا بالفرار، ذلك الازدهار الاقتصادي الذي سيعطونهُ دفعاً جديداً[2].

ويمكننا تقييم الوضع الاقتصادي قبيل قيام دولة الفاطميين بقولنا: على الرغم من تحسن أحوال الأغالبة، وبروز نهضة اقتصادية متكاملة ساعدتها على النهوض المبكر الذي قفز بها نحو الازدهار والتقدم، والشهرة فأصبحت دولة لها مكانتها بين باقي الدول، وهذا ما آثار طمع الفاطميين الذين سيستغلونهُ لأهدافهم السياسية المنشودة، وتصبح دولة الأغالبة، دولة الفاطميين الذي طالما حلموا بتأسيسها.

4) الأوضاع الثقافية والحضارية العمرانية.

4 1) الأوضاع الثقافية والفكرية:

وباعتلاء الأغالبة عرش الحكم وتكوين صرح دولة منتظمة ومتينة الأركان تحت تبعية الدولة العباسية[3]، أصبحت تشكل قطب حضاري، وإشعاع علمي ارتقت به كغيرها من العواصم الثقافية والحضارية الكبرى، وقد توافد وتهاطل عليها العلماء من كل أصقاع القطر الإسلامي، وذلك عن طريق الرحلات، أو الحج، أو الهجرات المتتالية، أو عن طريق التجار، فقد ازدهرت العلوم الدينية ازدهاراً عظيماً، وتشتمل على تفسير القرآن وتجويده ومعرفة حلاله من حرامه، وعلوم الحديث والفقه وأصوله، حيث أقاموا المدارس، والمكتبات والمساجد لهذه الغاية، فأصبحت قبلة القصاد ووفد إليها العلماء من الشرق والغرب، وقد تمركز التعليم الديني في عدة مدن كالقيروان، وسجلماسة، وغربي إفريقية[4].

وقد عرفت مدينة القيروان حركة ثقافية فكرية لا مثيل لها أوفدها بعض العلماء الذين أرسلوا في عهد الخلية "عمر بن عبد العزيز" وهو ما يفسر اعتناء حكام الأغالبة بالحركات الثقافية، والعمل على

---

(1) فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص52.

(2) ريما درنيقة: مرجع سابق، ص8.

(3) حسين مؤنس: معالج تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، ط1، 1980م، ص83.

(4) ريما درنيقة: مرجع سابق، ص113.

ازدهارها في كامل أرجاء إفريقية، متخذين من الحكام العباسيين قدوة حسنة في تقليد ذلك، وإن توفر الظروف المناسبة والملائمة مكنتها من إقامة علاقات ثقافية فكرية، وربطها مع مختلف العواصم العربية في المشرق كالمدينة المنورة"، و"بلاد الشام"، و"العراق"، و"مصر"، وغيرها[1].

فاجتمعت فيها كل التيارات العلمية الدينية، والفكرية، واللغوية، والتطبيقية، وغيرها، فبرز فيها أعلام في مختلف الميادين، خاصة في مجال الفقه بمدينة القيروان، وقد جاء في مقدمة تلك العلوم "أسد بن فرات[*]"[2].

وقد سارت العلوم الدينية على عهده في طريق الازدهار إلى أن توفي سنة (213هـ/829م).

ثم نبغ بعدهُ الفقيه العالم "عبد السلام بن سعيد التونخي" الملقب بـ"سحنون" [**]، وقد حضي بعض الفقهاء بمركز مرموق في إفريقية بين الحكام والرعية، وعامة الناس، إذ كان لها وقع خاص، وتأثير فعال على الجميع، وبينما كان بعض الفقهاء يمثلون مصدر قوة على البلاد والعباد، أصبحوا يشكلون فيها مصدر خطر وقلق، وذلك عندما تقلدوا مناصب إدارية مختلفة، بما فيها المهام التي كانت من صلاحيات الحكام[3].

ونذكر على سبيل المثال ما قام به الفقيه "سحنون" الذي قام بتعيين إمام في المسجد الجامع، بعدما كان ذلك من اختصاص الأمراء، ونظر في شؤون الأسواق (الحسبة) بعدما كانت هي الأخرى من مهام الولاة، وهو ما يفسر لنا أن الفقهاء في عهد الأغالبة كانوا على قسمين، مالكية وأحناف، حيث كانوا يطعنون كل قسم بعلم رجال القسم الآخر كالقضاء وغيرها، كما فعله سحنون الذي كان يبتني بيتاً في المسجد ليقاضي فيها المخالفين بعيداً عن ضوضاء الناس، وكان قضاة الأحناف يهدمونه

---

(1) مُحَمَّد حسين العيدروس: مرجع سابق، ص507.

(*) هو من تلامذة الإمام مالك بن أنس، سافر إلى العراق، ونقل أفكاره، ثم اتجه صوب مصر، فاغترف العلم من كبار تلامذة الإمام مالك، له مؤلفات عديدة منها: "الأسدية"، لقي هذا الكتاب رواجاً كبيراً من العلماء، وعامة الناس، توفي سنة (240هـ/855م). رج: كتاب مُحَمَّد العيدروس: مرجع سابق، ص525.

(2) ربما درنيقة: مرجع سابق، ص206.

(**) هو أحد كبار علماء القيروان، ارتحل إلى مصر، وتتلمذ على يد العالم "مالك بن قاسم"، فله مؤلفات ثرية أحسنها كتاب "المدونة"، التي جاءت شاملة لكل ما أخذه من العلوم في مصر ونافس بها "أسد بن فرات"، توفي سنة (240هـ/855م). رج: مُحَمَّد حسن العيدروس، مرجع سابق، ص226.

(3) نفسه، ص527.

عندما يصبح القضاء تحت سلطتهم، ويعيد المالكية بناءه، عندما يخلص القضاء إليهم، وهي على غير ذلك[1].

وقد عرف على "سحنون" تشدده اتجاه الفرق الخارجة، وفعل بهم ما لا يفعله الآخرون بهم، حيث بدد شملهم وشرد أهل الأهواء وأدب الجماعة منهم، بعدها خالفوا أمره وعزمهم على تولي الإمامة والتعليم وغيرها من المناصب، لكنه تغاضى عن المعتزلة وكل ما استطاع فعله ضدهم أنه امتنع عن الصلاة وراء أئمتهم، وأصبح أتباع المعتزلة يتمتعون بحماية خاصة من الحكام ويتخذونه مذهب رسمي لهم، وخطبوا به في عاصمة القيروان، إلا أن "سحنون" عانى من هذا المذهب لموقفه المعارض له، ومما يلاحظ أن المعتزلة كمبدأ لم يتوسع انتشارها بين جموع الناس لكن الأوضاع سرعان ما عادت إلى مجاريها، فقتل "الفزاري" أحد رجال المعتزلة بعدما تبت كفره لأنهُ نفى بأن تكون صفات الذات الإلهية، مثل عليم، وقدير، وبصير، مشابهة، لما هي عليه عند البشر، فهي جزء من الذات[2].

وكذلك من أشهر الفقهاء نذكر "أبا السير إبراهيم بن مُحَّد الشيباني البغدادي" و"مؤنس البغدادي" وغيرهم، وقد سارت العلوم الدينية وعلوم اللغة جنباً إلى جنب بالنسبة للبربر الداخلين في الدين الجديد لأن العرب المسلمون كانوا حيثما حلوا ينقلون معهم دينهم ولغتهم ويعلمون الناس اللغة والدين، وكانت هناك مذاهب سائدة في البلاد، وكانت المنافسة على بعضها مثل المذهب المالكي مذهب العامة، والمذهب الحنفي مذهب الأمراء والخاصة. أما مذهب الفقهاء ورجال الدولة وهو المذهب الاعتزالي (المعتزلة)، إلى جانب العلوم برزت العلوم الرياضية، ومن أشهرهم "إبراهيم بن مُحَّد الشيباني البغدادي"، وغيره، وعلماء الأدب والشعر، كما لعب علم التنجيم دوراً بارزاً ومن أشهرهم "إبن المعتصم"، و"حمديس" وغيرهم[3].

أما في مجال العلوم التطبيقية، فظهر علم الطب الذي لهُ تأثير كبير بعلماء العراق (بغداد)، حيث كان انتقال علم الطب من بغداد إلى القيروان بواسطة العالم "إسحاق بن عمران" الذي استقدمه أحد أمراء الأغالبة، واشتهر بمؤلفات كثيرة جمعت بين الفلسفة والطب وداع صيته في أرجاء المغرب الإسلامي، كما انتشرت علوم الترجمة انتشاراً واسع، ولاسيما اليونانية[4].

---

[1] مُحَّد حسن العيدروس، مرجع سابق، ص527.

[2] نفسه، ص528.

[3] فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص52.

[4] نفسه، ص53.

وكانت المدارس في حواضر إفريقية تحتوي على مرافق للسكن والدراسة، والمطالعة، والصلاة وأغطية ومرتبات في كل شهر، وذلك تشجيعاً على طلب العلم[1].

ومما يلاحظ أن انتشار العلوم الفقهية كان أكثر بكثير من انتشار العلوم التطبيقية مما أعاق ازدهار وتقدم العلوم الأخرى، ولعل رواية القاضي عياض أتثبت صحة ذلك، هو أنهُ عندما توفي "سحنون" ناح عليه الفقهاء بضرب وجوههم كالنساء أسفاً على موته واتخذت مدونته مصدراً رئيسياً للفقه في بلاد المغرب والأندلس، وهي أصل المذهب المرجح[2].

1) الأوضاع الحضارية العمرانية:

تطرقت أثناء دراستي الحضارية والعمرانية إلى ذكر بعض المنشئات التي بناها الأمراء الأغالبة قبل الأمير إبراهيم الثاني، لكي أوضح مدى اهتمام الأغالبة بهذا الفن الذي سرعان ما يرثهُ الفاطميين.

لقد كانت فترة حكم الأغالبة من أزهى الفترات في بناء المدن، والقصور، والمساجد الدينية، والمدارس، وغيرها، وأذكر على سبيل المثال: بناء مدينتين ملكيتين هما العباسية التي أبدع في تأسيسها "إبراهيم بن الأغلب" سنة (185هـ- 801م) الواقعة على بعد ثلاثة أميال إلى جنوب القيروان، وسميت بهذا الاسم تيمناً بالخلفاء العباسيين، حيث حققت هذه المدينة الحماية والحصانة "للإبن الأغلب" من الجند الذي ضاق منهم درعاً من معارضتهم، وعدم صدقهم.

أما المدينة الثانية وهي "رقادة" أقيمت على ثمانية أميال إلى الجنوب من مدينة القيروان ابتناها "إبراهيم بن أحمد الأغلبي" عام (263هـ- 877م) واتخذها أمراء بني الأغلب مقراً لهم حتى زوال دولتهم على يد "أبو عبد الله الشيعي"، حيث بنى فيها الأمير عدة قصور، مثل "قصر بغداد"، و"الفتح"، و"قصر البحر"، و"العروس"، و"الصحن"، لكن هذه القصور احتلها الفاطميون ومكثوا بها حتى سنة (308هـ- 921م) ثم انتقلوا بعدها إلى المهدية، حيث اهتم الأغالبة بتشييد الصهاريج، خاصة الأمير "أبو إبراهيم أحمد مُحَّد بن الأغلب" الذي بنى صهريجاً في باب تونس بالقيروان سنة (248هـ- 863م)، كما ساهموا بشكل كبير في بناء القناطر، كقنطرة "أبي الربيع" في جنوب القيروان التي شيدها الأمير "زيادة الله بن إبراهيم"، كما كانت لهم آثار باقية، وخالدة إلى اليوم في مجال العمران، كمسجد القيروان العظيم الذي اختطهُ "عقبة بن نافع الفهري" سنة (670م) حتى غدا جامعة إسلامية ضخمة،

---

(1) الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، الدار البيضاء، 1986م، ص176.

(2) مُحَّد حسن العيدروس: مرجع سابق، ص529.

حيث قام الأمير "زيادة الله الأول الأغلبي" سنة [1] (221هـ- 837م) بتحطيم أجزاءه، احتفظ فقط بمحرابه، كما أدخلوا "فنون الزخرفة" الظاهرة على أعمدة المساجد وغيرها، وكذلك "جامع الزيتونة" بتونس الذي يعد من أقدم المساجد عمراناً، وشهرة، وجامع سوسة الذي بنى عام (236هـ- 851م)، وكان ذلك في عهد الأمير "أبي العباس مُحَمَّد بن الأغلب"، كما اهتموا ببناء المنشئات العسكرية، وتحصينها بأسوار منيعة تمنع أي خطر خارجي، مزودة بمنارات للاستطلاع ومراقبة تحركات الأعداء، إضافة إلى المنشآت الاقتصادية[2].

إن أهم ما أنشأهُ الأغالبة في إفريقية الأربطة من أجل تعزيز حمايتها وزيادة الأمن فيها وهما رباطين:

1 -رباط سوسة: أنشأ في عهد الأمير زيادة الله بن الأغلب عام (206هـ- 822م)، وكان مخصص لاستقبال المقاتلين ضد الروم، ومراقبة تحركات العدو في عرض البحر الأبيض المتوسط.

2 -رباط المنستير[3]: شيده القائد العباسي "هرثمة بن أعين" عام (180هـ- 794م)، يقع بين المهدية، وسوسة،

وتمتاز حضارة الأغالبة بأنها حضارة إسلامية، وريثة للحضارات السابقة كرومان وغيرها، واستغلت ما تركهُ الرومان، واليونان، والروم، والبربر [4]، والعرب من أساليب صناعية وفلاحية وتجارية، وأعطته صبغة إسلامية[5].

ومن هذا عرف عصر الأغالبة ازدهاراً حضارياً، لكن هذا الازدهار سرعان ما غربت شمسه على يد الفاطميين، ولم يتبقى للأغالبة سوى آثارهم.

مما تقدم يمكنني القول:

لقد مرت إفريقية بمرحلة انتقالية من مرحلة ما قبل الفتح إلى مرحلة الفتح، وهذه الأخيرة كانت أليمة وطويلة، حيث اصطدمت فيها قوة البربر مع قوة الفاتحين العرب، وإن اضطراب الأوضاع

---

[1] ريما درنيقة: مرجع سابق، ص204.

[2] مُحَمَّد محسن العيدروس: مرجع سابق، ص296- 297.

[3] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تح: الأستاذ حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، لبنان، 2013م، ص119.

[4] عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر، ط تونس (1344هـ- 1825م)، ص158.

[5] رابح بونار: المغرب العربي في تاريخهُ وثقافته، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م، ص54.

السياسية والاجتماعية والدينية التي كانت سائدة في المشرق مدّت أذيالها إلى إفريقية، وطبعت إفريقية بطابع الدين الجديد ولغته وثقافته، وأن هذه الأوضاع استغلها الفاطميون ولاسيما "أبو عبد الله الشيعي" الذي نجح في استغلال الظرف «الناجح من يستغل الظرف»[1]، عن طريق:

1)استغلاله لموقف الظلم الذي مارستهُ الدولة الأغلبية في أواخر عهدها على الناس، فسعى إلى استقطاب المعارضين بالمنهج الدعوي التمويهي من خلال طرح أسلوبهِ الماكر وفضه سياسة الأغالبة الذي اعتبرها مجانية للإسلام.

2)استكشافه لأوضاع الحكم الأغالبة من خلال انغماسهم في الترف، والانحلال الخلقي وظلمهم الفظيع للناس.

3)استغلاله للانقسام السياسي، وفتور دويلات المغرب الإسلامي في مقاومة المد الشيعي.

4)الانتعاش الاقتصادي والحضاري الذي منيت بهِ دولة الأغالبة لفت مطامع الشيعة، ومن بينهم أبو عبد الله الشيعي.

5)الازدهار الثقافي الذي كان بمثابة الشروق للحضارة الفكرية الإسلامية.

فالدولة الأغلبية لم تكن دولة خلافة على حد قول إبن خلدون «الهرم إذا نزل في دولة لا ترتفع»، واعتقاد كل واحد منهما أن الدعوة الشيعية فرصة لتصفية حساباتها ببعضها البعض فأدى ضعف الوازع الديني الوحدوي المغربي وانعدام روح المسؤولية الجماعية لخطر المد الشيعي، تارك المجال للفاطميون الذين سيغنمون فوائد جمة من هذا الازدهار الذي تركه أُمراء بني الأغلب، ولاذا بالفرار وتحويل مقر البلاد إلى مقر للخلافة الفاطمية التي تكون المركز الأول من مراكز حضارتها.

[1] كلمة من محاضرات الدكتور بن علي، أستاذ بجامعة غرداية.

الفصل الأول

بواكير الدعوة الشيعية بالمغرب

تمهيد:

إن كل دولة قامت بدعوة دينية، فالدولة الإسلامية قامت بدعوة دينية إسلامية تزعمها الرسول – ﷺ– بوحي من الله، أما الدولة الفاطمية قامت بدعوة شيعية إسماعيلية، مستمدة من فكرة الوراثة الخاطئة تزعمها "أبو عبد الله الشيعي" صاحب الفضل الكبير في وضع اللبنات الأولى لتأسيسها بالمغرب[1]. كانت الغاية من منهج الدعوة هو إقامة إمامة تكون من آل البيت العلوي، ويسمون الخلافة بالإمامة، إذ تعد الأساس التي تقوم عليه الدولة الفاطمية مذهباً، ومجتمعاً، ودولةً، فهي الركن الأول، وقاعدة الإسلام[2].

المبحث الأول: أبو سفيان والحلواني في المجالات الكتامية

قبل أن نعرج إلى تفاصيل منهج الداعيين أبو سفيان، والحلواني في المجالات الكتامية لابد من الحديث عن مفهوم الدعوة، ومراحلها من حيث إسهامها في نشر مثل هذه الترعة الخارجية، ثمّ تقييم مدى نجاح أصحابها في تحقيق أهدافهم السياسية المنشودة، فكان الهدف منها هو إنجاح وتوطيد منهج الداعي في تأسيس دعائم الدولة الفاطمية، وغرس ركائزها انطلاقا من المغرب الأوسط، ومن ذلك تصدق النظرية الفلسفية القائلة «الغاية تبرر الوسيلة»[3]. فالغاية تكمن في غرس بدرة الفكرة، أما الوسيلة هنا هي منهج الدعوة.

فما هي الدعوة إذن؟ وكيف عرفها العلماء؟ وما مفهوم الدعوة انطلاقاً من منهج النبي – ﷺ–، هذا لأن الدولة الفاطمية قامت على دعوة دينية روحية إسلامية[4].

تصدق نظرية "ابن خلدون" القائلة فصل «في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم »[5]، وعلينا أن نفهم أن هذا النص جاء ليثبت لقارئ التاريخ الإسلامي الوسيط أن الدولة الفاطمية قامت بعصبية موروثة، حتمت بقيام دعوة تضافرت فيها كل الجهود، وذلك من أجل تحقيق الحزبية لآل

---

(1) مُحَمَّد الصالح مرامول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص52.

(2) جمال الدين الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، (1422هـ، 2002م)، ص22.

(3) القائل: الفيلسوف ميكيافيلي

(4) مُحَمَّد عبد الله القضاعي إبن الآبار: الحلة السيراء، ج 1، تح: حسين مؤنس، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1963م، ص49.

(5) عبد الرحمان ابن خلدون: مصدر سابق، ص170.

البيت، إن الدعوة في الأصل انطلقت من زمن ظهور الرسول – ﷺ- على أرض مكة المكرمة، فخرج للأمة بشيراً، ونذيراً، يدعوا للخير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وكان طابع دعوته تغيير الأحوال من الجهل إلى النور، ومن الكفر إلى الإسلام فهو دين تسامح، ونورٌ يهتدى به [1]، وغيرت أحوال قريش الوثنيين من عبادة الأصنام، إلى عبادة الله الأحد [2]، ولعل هذه الدعوة سبقتها أراء متعددة، ومختلفة، خلقت بعض الحروب الغير متوقعة وتسببت في إثارة الفتن والقلاقل في أواسط القبائل، أسهمت بشكلٍ كبير في بروز فرق كثيرة، منها الرافضة، والمؤيدة، ومنها الإنحيازية، وغيرها.

إن الدعوة التي حملها الرسول – ﷺ- على عاتقه أثبتت لنا أنها كانت بمنهج إسلامي صحيح، نجح بها في جمع الأقطار الإسلامية، وبعده حمل المشعل الوضاء الذي أوقده الرسول – صلى الله عليه وسلم- بكل أمانة، وصدق، وإخلاص، خلفائهِ الذين سموا بالفاتحين تمكنوا من خلالها فتح العديد من البلدان، كفتح الأندلس مثلاً[3]. نتج عن هذا الفتح توحيد الشعوب الإسلامية جميعاً على الأصعدة الدينية، والاجتماعية، والثقافية[4].

- مفهوم الدعوة:

هي «استدراك النواقص»، ومن حيث التعريف اللغوي هي «دعاء الرعية إلى الله ... ولهم الدعوة على غيرهم: تبدأ بهم في الدعاء، وتدعوا عليه: اجتمعوا، ودعاءً، سقاهُ، والنبي – صلى الله عليه وسلم- هو «داعي الله»، والدعوة تطلق على «المؤذن»، أما من حيث المفهوم الإصطلاحي هي: «داك الجهد المنهجي المنظم الهادف إلى تعريف الناس بأحقية الإسلام، والدعوة كمضمون رسالي، أي كدين يبلغ ويلتزم »، والدعوة أيضاً هي «عملية تبليغ لمضمون رسالي، ومحاولة تعريف الناس به، وهي حركة جهاد من أجل البناء، ومواجهة الهدم »، والداعية هو «الذي يدعوا إلى دين أو فكرة»[5].

---

[1] أحمد بن جابر البلادري: فتوح البلدان، ج 1، تح: صلاح الدين المنجد، 3 أجراء، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1957م، ص44.

[2] كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: فارس والبعلبكي، (بيروت)، دار العلم للميلايين، ط8، 1979م، ص38.

[3] عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1971م، ص536.

[4] أحمد مختار العبادي: مرجع سابق، ص56-57.

[5] الطيب برغوت: منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها من خلال الفترة المكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة قضايا الإسلامي، ص64-65.

1) **مفهوم الدعوة عند ابن تيمية** : «الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به بما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبرهُ به، وطاعته فيما أمروا ». والدعوة أيضاً هي: «دعاهُ إلى الشيء بمعنى حثهُ على قصده، ودعاهُ إلى القتال، ودعاهُ إلى المذهب حثهُ على إعتقادهِ»[1].

2)**مفهوم الدعوة عند ابن منظور**: هي «...والدعاة قوم يدعون الناس بيعة الهدى، أو الضلالة، وأحدهم داعياً، والرجل داعيتهِ، إذا كان يدعوا الناس إلى بدعة أو دين».[2]

3)**مراحل المنهج الدعوي الإسلامي**: مرت بمرحلتين هما:

1 - مرحلة الدعوة سراً: تميزت بنشر تعاليم الإسلام عبر المجتمعات بطريقة دينية سلمية وسَلِيمَة.

2 - مرحلة الدعوة جهراً: تميزت بإظهار الدعوة، وإعلان الإسلام دون استخدام السيف، وأحياناً تستلزم إقامة الحرب[3].

4) **مراحل المنهج الدعوي الإسماعيلي**:

مر هو الأخر بثلاثة مراحل وهي كالأتي:

1 - **المرحلة الأولى**: المنهج المسبق للدعوة: انطلاقاً من الإمام جعفر الصادق، و"ابن حوشب" زعيم قاعدة الدعاة باليمن[4].

2 - **المرحلة الثانية**: المنهج العقائدي النظري: تولاه الحلواني، وأبو سفيان [5]، وظهر ذلك جلياً في في اتخاذ أربطة لهما، وتعليم الصبيان القرآن الكريم، وتميزت بالكتمان[6].

3 - **المرحلة الثالثة**: المنهج العقائدي العملي: تولاه صاحب البدر المنتظر ألا وهو "أبو عبد الله الشيعي"، وانقسمت هي الأخرى إلى ثلاث مراحل[7]:

4) مرحلة الدعوة الإستكشافية: أسقطهُ على دولة الأغالبة لمعرفة مواطن الضعف فيها.

---

(1) ابن تيمية: مجموعة الفتاوى، 37مجلد، دار الوفاء، المنصورة، مكتبة العبيكان بالرياض، ط 1، (1418هـ/1997م)، ص257.

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج14، دار صادر، بيروت، ص259.

(3) مُحَمَّد فاروق النبهان: المدخل للتشريع الإسلامي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1981م، ص112- 130.

(4) مُحَمَّد سهيل طقوش: تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، (1428هـ/2007م)، ص63.

(5) مُحَمَّد سهيل طقوش، مرجع سابق ص63.

(6) نفسه، ص63.

(7) مُحَمَّد سهيل طقوش، مرجع سابق ، ص63.

5) **مرحلة الدعوة العقائدية سراً** : بدأت بتعليم الصبيان القرآن، واستمالة القبائل إليه، واستغرقت ثلاثة سنوات من (288هـ- 291هـ).

6) **مرحلة الدعوة العملية جهراً** : وتمتلث في إعداد العُدة، وإعلان الحرب، وانتقلت فيها الدعوة من مرحلة الكتمان إلى مرحلة الظهور واستمرت ستة سنوات[1].

نقارن بين المنهجين، ونقارب بينهما يمكننا القول أن الأول نابع من قدرة إلهية تفوق قدرة المخلوق، وجاء لتغيير حال من أحوال المجتمع الضال، أما الثاني فهو نابع من عصبية قبلية موروثة بحكم الشرع أولد منهج إسلامي غير صحيح وسليم سعى إلى انشقاق المجتمع وتطريفه، ومن ذلك يمكننا تقييم المنهجين، فالمنهج الدعوي المحمدي نجح في ضم الأقطار الإسلامي المتناثرة والمتناحرة تحت راية الإسلام، أثمرت نهايته بزوغ حضارة إسلامية عظيمة دامت بدوام الخليقة على وجه الأرض، بينما المنهج الإسماعيلي الشيعي هدم المجتمع الإسلامي، لكن نجاحه يبقى نسبياً، لم يثمر في إقامة دولة سرعان ما آلت الزوال وما بقي منها سوى أنقادها وأثارها التي هي محل الدراسة والبحث اليوم.

5) مميزات منهج الداعيان:

تميز المنهج الذي قادهُ الداعيان أبو سفيان، والحلواني في الديار الكتامية بالمرحلة التمهيدية التأسيسية السرية، ولعل هذه المرحلة أثارت جدلاً نوعاً ما بالنسبة للافتراق الدعوي لداعيان في أوساط الباحثين والمؤرخين، أما فيما يخص المرحلة الثانية اقتصرت على منهج إظهار الدعوة، وإعلان الحرب تزعمها الداعي (صاحب البدر المنتظر)، إن المجتمع القبلي القائم في بلاد المغرب الإسلامي، عُرف بتنوع قبائلهِ، وتباين أطيافهِ وعصبياتهِ[2].

وهذا ما يجعلنا نتساءل في هذا المقام، ما إذا كان المنهج الدعوي النظري الذي حمل لوائهِ الداعيين أبو سفيان، والحلواني، نجح فعلاً في تحقيق الهدف التأسيسي للدولة الفاطمية؟.

إن البحث في هذه الإشكالية المطروحة يتطلب جهداً كبيراً نوعاً ما من الباحث، إذ تعتبر من الإشكاليات التأسيسية التمهيدية لقيام دولة في أي قطر من أقطار العالم الإسلامي، فهي ظاهرة دينية

---

(1) مُحَمَّد حسن العيدروس، مرجع سابق، ص123.

(2) أبو بكر بن مُحَمَّد إبن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ج1، ليدن 1976م، (ب، ط)، ص83.

تحمل معنى ديني لغرض معين، نعتبره نحن كبداية لمرحلة دعوية لطالما جاهد فيها طلاب الملك والمال[1].

إذ يفهم منها الباحث أن الفاطميين كانوا يسعون دائماً إلى امتلاك عرش آل البيت، مع استيلائهما لغنائم الدول المغزوة، وقد قام ملكهم على أنقاد ثلاثة دول، دولة الأغالبة، وبني مدرار السجلماسية، وبني رستم الإباضية[2].

إن تفضيل كبير الدعاة (إبن حوشب) لبلاد المغرب الإسلامي دون سواها يثير شيئاً ما من الغموض، أو لعله توسم فيه خير لقيام دولة الفاطميين المنتظرة[3].

إن اختيار الشيعة الإسماعيلية لبلاد المغرب الإسلامي، لم يكن بمحض الصدفة، وإنما كان بتحضير مدروس، ومسبق، وإدراك تام لأحوال المغرب سياسياً واجتماعياً، واقتصادياً وثقافياً[4] حيث يرجح الكثير من المؤرخين، والمهتمين بتاريخ المغرب الإسلامي أن الدعوة الإسماعيلية تعود إلى عصر الإمام جعفر الصادق سادس الأئمة العلويين[5].

وهو إبن الإمام مُحَمَّد الباقر إبن الإمام علي زين العابدين بن الحسين بن أبي طالب، ينحدر من أسرة علمٍ، ونبلٍ، هو من مواليد الثمانين للهجرة في المدينة (80هـ)، تلقى العلم من كبار علماء عصره، حتى صار عالم الأئمة، فاحتل المكانة الأولى بين فقهاء الشيعة، وإليه ينسب الفقه الجعفري[6].

وكان للإمام جعفر منهج دعوي فقهي متميز، يمثل المنهج الإجتهادي للمذهب الشيعي، فهو لا يختلف من حيث معالمه عن مذهب أهل السنة إلا من حيث الأصول التي يعتقدها الشيعة من القول بإمامة، وهم يعتبرون أن الدنيا لا تصلح بغير إمام، إذ هي من أهم المراكز الدينية والدنيوية[7].

---

(1) هم دعاة الشيعة، سموا بهذا الاسم، أنظر: كتاب حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضاراته، ج 1، ط بيروت، 1992، ص461- 527.

(2) أبو الفدى: المختصر في أخبار البشر، ج2، تح: مُحَمَّد الحاج صادق، 1938م، ص66.

(3) علي حسني الخربوطلي: "أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية"، القاهرة، 1972م، ص31.

(4) مُحَمَّد عبد الحي شعبان: الفاطميون، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981م، (ب، ط)، ص225.

(5) موسى لقبال: دور كتامة في الخلافة الفاطمية، ج 1، دار الأمل لدراسات والتوزيع، سحاولة، الجزائر، 2007م، ص493- 494.

(6) مُحَمَّد أبو زهرة: الإمام جعفر الصادق، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، (د، ت)، ص300.

(7) النبهان: مرجع سابق، ص297.

اهتم الإمام جعفر بنشر فضائل آل البيت في المناطق التي مازالت تحتفظ بالإسلام وأصوله بصورة غير معقدة[1].

ولعل خطاب جعفر الصادق (145هـ-762م) لداعييه اللذين أرسلهما إلى المغرب[2] قائلاً لهما: «اذهبا إلى المغرب فإنكما تأتيان أرضاً بوراً، فأحرتاها، وكرباها، ودللاها إلى أن يأتيها صاحب البدر، فيجدها مدللة، فيبدر حبهُ فيها»[3].

وطلب منهما أن يبسط ظاهر الأئمة من آل مُحَّد صلوات الله عليهم، وينشروا فضلهم، وأخبرهما على أن يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر ثمّ يفترقان، فينزل كل واحد مهما ناحية[4].

حيث تجدر بنا الإشارة إلى نص الإمام جعفر الذي يبين التحضير المدروس لهذا المشروع الدعوي، وإدراك تام لأحوال المنطقة، وإن كنا كباحثين جدد لا نتفق مع من قال أن المغرب الإسلامي أرض خصبة لنشر التشيع، ويمكننا أن نتساءل عن الهدف الذي كان يجول في ذهن الإمام جعفر من إرسال الداعيين؟. ولعل من الأسباب نذكر ما يلي:

1) تمتع الإمام بوعي سياسي عميق، فمنهجه كان في التغيير، ولم يكن منهجاً تحكمه المغامرات العفوية، والارتجالية، بل كان من منهجاً تحكمه خطط محكمة على أسس فكرية عقائدية وموضوعية[5]، لأنه كان على دراية تامة بالمرحلة الانتقالية التي كان يمر بها المغرب بعد انتقال السلطة من الأمويين إلى العباسيين وذلك سنة (132هـ- 749م)، وما شهدهُ من أحداث دامية وصراعات متأججة.
2) صعوبة التحرك السياسي، والثقافي للإمام في المشرق بوجود أنظار السلطة العباسية.
3) المضلومية التي عاشها البربر من قبل الحكام العباسيين والأمويين، زادت من حقدهم وتقبلهم لنظام جديد[6].

---

(1) موسى لقبال: مرجع سابق، ص494.

(2) بوزياني الدراجي: دور الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، (ب، ط)، ص382- 383.

(3) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص24.

(4) نفسه، ص23.

(5) النبهان: مرجع سابق، ص346.

(6) مُحَّد أبو زهرة: مرجع سابق، ص130.

6) منهج الرحلة لداعيين:

وبوصول هذين الداعيين، وهما عبد الله بن علي بن مُحَمَّد المعروف بالحلواني، وأبو سفيان الحسين بن القاسم[1] إلى مرماجنة من بلاد المغرب الإسلامي، حيث نزل "أبو سفيان" عند موضع يقال لهُ "تالا"[2]، والثاني نزل بموضع يقال لهُ "الناضور" [*] الواقع قرب منطقة "سوجمار" البعيدة عن مرماجنة[3]، وعلى الرغم من افتراقهما في الظاهر إلا أن الهدف واحد، ألا وهو توصيل الدعوة بالمفهوم الصحيح لتمهيد الحرث، وهذا ما سوف نراه في بداية المرحلة الثانية من دعوة أبو عبد الله الشيعي، حيث إبتنى كل واحد منهما مسجداً، واتخذه رباطاً خلويا له، وتزوج كلٌ منهما امرأة واشترى أمةً وعبداً لمساعدتهما في أعمال المنزل والعبادة، حيث باشر كلٌ منهما نشاطه الدعوي بكل سرية وحيطة تامة في موضع رباطهما [4]، مما يوحي لنا أن الداعيين استخدما المنهج النظري عن طريق الدعوة العقائدية التي تحمل في مضمونها تعليم القرآن للصبيان، ومن ثمّ استظهرا تأثيرهما على أهالي المنطقة فأطر أبو سفيان دعوته عند قبائل مرماجنة، والأربس، ونفطة التي كانت تسمى بالكوفة الصغرى لكثرة التشيع بها[5]، إلى غاية إقليم الجريد وصولاً إلى باغية، وكتلة الأوراس.

بينما الحلواني أطر دعوته في أرض البربر من هامش كتامة، إلى غاية "سوماطة" (ومن نفزاوة) [6]، وحتى المناطق المجاورة، بما أظهروهُ من أخلاق سامية، وحسن معاملة، مما جعل القبائل على اختلاف طبقاتها الاجتماعية ينضوون جماعات ووحداناً في دعوتهما، فما هو الهدف الذي كان يسعى من وراءه المنهج العقائدي؟

وهو:

1) التعريف بفضائل آل البيت[7]:

---

[1] إبن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، دار الكتاب العربي، بيروت، 1949م، ص15.

[2] مُحَمَّد الصالح مرمول: مرجع سابق، ص31.

[*] الناظور: حصن في جبال بجاية، يقع قرب منطقة "سجمار"، البعيدة عن مرمجانة، انظر: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص176.

[3] ياقوت الحموي: مصدر سابق، ج5، ص109.

[4] موسى لقبال: دور كتامة في الخلافة الفاطمية، نفس المرجع، ص496.

[5] القاضي أبي حنيفة النعمان: مصدر سابق، ص24- 25. وابن خلدون، ج6، مصدر سابق، ص176.

[6] مُحَمَّد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص64.

[7] موسى لقبال: دور كتامة في الخلافة الفاطمية، مرجع سابق، ص496.

2) التبشير بظهور المهدي المنتظر الذي هو غائب في سرداب إلى حين خروجه.
3) الدعاء للإمام الرضا من آل البيت.
4) التمهيد لتأسيس دولة لطالما حلم بها الشيعة.

7) عوامل نجاح المنهج العقائدي للداعيين:

فعلى شأنهما، وداع صيتهما، وبلغ صداهما بين مختلف القبائل، ونبغ الداعيين في تلقين الأحاديث بموضع رباطهما اللذين اتخذوه كانطلاقة ناجحة للدعوة العقائدية السرية بدعاية سلمية.

إذا كان هناك هدف في إنجاح المنهج العقائدي لدعوة الداعيين، فلا بد من وجود وسائل ساعدتهُ على نجاح وترسيخ المنهج، وإن صح التعبير، تثمين هذا الجهد في أحسن حال، ومن بين هذه العوامل نذكر ما يلي:

1) التأثير القرآني عن طريق التفسير، وتلقين علوم الحديث وغيرها.
2) التأثير الشخصي تمثل في قوة فصاحة اللسان، وإتقان فنون الخطابة[1].
3) استخدام الرقية، ومعالجة الناس بالقرآن.
4) استعمال وسائل الدعاية التي تتلاءم مع عقلية الناس في تلك الجهات.
5) افتعال الحيل عن طريق الطلاسم والسحر.
6) استخدام التمويه، ليثبتوا للناس أنهم أهل كرامات، وأنهم من الصالحين، كالرواية التي حدثت لأحد التجار عندما هلك بعيره في مرماجنة، وأنجده أبو سفيان وأعاره بعيراً على أن يرجعهُ عند عودته، لكن التاجر نكث الوعد، فاحتفظ بالبعير وأخذ يتاجر به ما بين باغاية، ونفطة، حيث وقع ما لم يتصوره العقل البشري أن البعير انقطع حمله، واتجه نحو رباط أبو سفيان في مرماجنة، وناخ بقربه فرجع التاجر معتذراً لأبي سفيان عن نكته للوعد، فبات ضيفاً في رباطه، وابتاع التمر واشترى به قمح[2].

ولا شك إن مثل هذه الوقائع هي من ابتكار وحي علماء الإسماعيلية الذين ينسبون لأنفسهم أنهم من أهل الكرامات، وهم من الأولياء[3].

---

[1] موسى لقبال: دور كتامة في الخلافة الفاطمية، مرجع سابق، ص497.
[2] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص24.
[3] موسى لقبال: دور كتامة في الخلافة الفاطمية، مرجع سابق، ص496.

إن هذه الأسباب والعوامل نجحت فعلاً في تحقيق الهدف في بلاد المغرب الإسلامي جعلتنا نكتشف أيضاً أن المنهج العقائدي الذي اعتمد عليه الداعيين لجلب الأنصار قد مكنهم إلى حد بعيد من بلوغ أهدافهم السياسية، كما أثبت نجاعته في التفاف القبائل حولهم.

لكن هذا النجاح في انتشار منهج الدعوة لم يكن بمحض الصدفة، وإنما دفعته عوامل، فما هي إذن العوامل التي أدت إلى انتقاله بين القبائل والأمصار؟ وماهي أهم أسباب انتشاره داخلا وخارجاً؟. إن انتشار أفكار وعقائد الداعيين في كل صقعٍ من أصقاع المغرب أطلق طريق العنان لتشيع الكثير على يديهما[1].

8) عوامل انتشار منهج الداعيين:

1) الموقع الاستراتيجي الممتاز الذي تمثل في المناطق وطرق العبور، إ ذ كان المواقع الجغرافي الخاص للمغرب الإسلامي الأثر البالغ في تطور المسالك التجارية جنوباً – شمالاً، غرباً وشرقاً في ازدهار تجارة الرقيق والذهب[2].

2) التبادل التجاري بين المغرب وبلاد السودان باتجاه البحر المتوسط، والمشرق [3]، وحركة التجار، الذي جعل منها نقطة وصل واتصال بين العديد من المناطق التجارية، حمل التجار الأفكار والعقائد إلى مناطقهم.

3) العامل الاقتصادي، أدى إلى الثراء والانتعاش، تمثل في تنوع المنتوجات الزراعية من ثمور وحبوب وغيرها، كمنطقة نفطة الغنية بالثمور، مما جاء في بعض مصادر المؤرخين أن بلاد المغرب الإسلامي، قد شهدت نهضة اقتصادية نشيطة، لاسيما القرنين الثالث والرابع الميلاديين [4]، وقد تمتع التجار، بما فيها الأجانب على الولوج إلى بلاد المغرب الإسلامي قادمين إليها من مناطق شتى خاصة من الأندلس، وبلاد السودان، وحتى أوروبا، وقد لعب التجار اليهود دوراً رئيسياً في حركة انتعاش المبادلات التجارية، حيث أحكموا سيطرتهم على تجارتي الذهب والرقيق[5].

4) الحجاج.

---

[1] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص25.

[2] موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول، تر وتع: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1979م، ص86.

[3] آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، ج2، تر: عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، 1940م، ص217.

[4] نفسه، ص184- 185.

[5] ابن خردادبة: المسالك والممالك،نشر وترجمة مُحَمَّد الصادق، الجزائر 1949م ، ص20.

5) العامل الثقافي، كانتقال طلاب العلم، وغرس الفكرة في أدهانهم.

6) عامل الهجرة، ويبدوا أن النشاط التجاري لم يكن مقصوراً على التجار المحليين فحسب، بل هناك ما يدل على دور عناصر أندلسية لم يقل نشاطها عن التجار اليهود، حيث أصبحت هي الأخرى تمثل قوة بشرية واقتصادية لا يستهان بها في بلاد المغرب الإسلامي، وقد ورد في بعض المصادر أن سنة (290هـ- 291هـ)، (902- 903م) هي تاريخ ارتباط هذه العناصر الأندلسية ببلاد المغرب الإسلامي، وأن مدينة "تنس" تعد مما خلفه هؤلاء بالمنطقة على حد تعبيره [1]. وما لبث المنهج السفياني أن ينجح ويمد جذوره في بلاد المغرب حتى وافته المنية [2]، وكذا الشأن للحلواني الذي عاش فترة طويلة من الدهر حتى مات هو الآخر في منطقة الناضور تاركاً إبنته "أم موسى"، وعدداً من أفراد معارفه، عاش بعضهم إلى غاية وصول الداعي أبو عبد الله الشيعي[3].

ومما تقدم يمكننا القول: على الرغم من نجاح منهج الداعيان، إلا أن جهودهما لم تُتمر تمرثها المرجوة عن شيء ملموس[4]، لكنهما نجحوا في حرث الأرض، وتمهيد السبيل لصاحب البدر المنتظر ألا وهو "أبو عبيد الله الشيعي".

المبحث الثاني: حجاج كتامة والدعوة الشيعية.

يُعتبر حج البيت الحرام الركن الخامس في الإسلام أحد العوامل الرئيسية في التواصل، والتكامل الفطري والثقافي بينهما [5]، وإن مثل هذه الفريضة التي استوجبها الإسلام، كانت عاملاً مهماً في انتشار ترعة "التشيع"، وتسربها داخل بلاد المغرب الإسلامي، ومن يصدق أذن هذه الفكرة انطوت على رقاب المغاربة وسيطرت على أدهانهم، وسارت بأفكار قادتهم إلى طريق ما لا يحمدُ عقباهُ، جعلت الباحث والقارئ يتمايل بين كفتي النظرة الإسلامية الصحيحة، والفكرة الدينية الخاطئة (فكرة التشيع) وكيف استحسن استخدام هذه الفكرة الدينية الخاطئة على حساب الفكرة الإسلامية الصحيحة؟ ومن هذا المنطلق تجدرً بنا الإشارة كباحثين متواضعين أن نتساءل عن ما يجول في خلجات خواطرنا عن المفهوم الجغرافي للبربر باعتباره الأداة، والوسيلة في تسرب وجلب هذا المذهب

---

[1] موريس لومبار: مرجع سابق، ص101.

[2] إبن الأثير: مصدر سابق، ص39.

[3] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص24-25.

[4] موسى لقبال: مرجع سابق، ص507.

[5] مجهول: كتامة والحضارة الفاطمية، وزارة الثقافة، الجزائر، (د، ط)، 2007، ص10.

إلى المغرب الإسلامي، ومن هو صاحب هذه النقلة؟ وما هي المراحل التي مر بها منهج دعوته؟ انطلاقاً من فريضة الحج إلى غاية الانصراف والرجوع إلى ديار كتامة !.

1) المفهوم الجغرافي للبربر:

أطلق اسم البربر جغرافياً بصفة شاملة على سكان شمال إفريقيا من الحدود الغربية لمصر شرقاً حتى الأطلسي غرباً، وسكان السواحل، والسهول، ومن أهل الدواخل من سكان الجبال، والصحراء، حتى شمالي مالي والنيجر في الجنوب من دوي البشرة البيضاء أو السوداء (الزنوج) منذ أقدم العصور التاريخية، وقد درج النسابة، والمؤرخون على تداول هذه التسمية فخراً واعتزازاً، ولا يختلف اعتزازهم عن مصطلح آخر مرادف لنسبهم، وهو أمازيغ والذي يعني في نظرهم الشرف؛ والنبل، وعشق الحرية، وقد قسم النسابة شجرة أنساب البربر إلى قسمين وهما:

2 - البرانس: وهم من أهل الأرياف والحضر، يعيشون على الزراعة.

3 - البتر: وهم من أهل الصحاري والبداوة، يعيشون على الرعي والتنقل.

ومن أهم فروع البرانس في المغرب الأوسط، وإفريقية – قبائل كتامة– وزواوة، وصنهاجة الشمال، وأروبة، وهوارة، ومصمودة، وعجيسة[1]. وهذا ما تبينه الخريطة التالية:

[1] مجهول: كتامة والحضارة الفاطمية، مرجع سابق، ص16.

خريطة لأهم قبائل فرع البرانس بالمغرب الأوسط وإفريقية[1]

تبين الخريطة أهم القبائل فرع البرانس في المغرب الأوسط وإفريقية من بلاد المغرب الإسلامي، وهم بربر الحضر، المستقرون الذين يعيشون على الزراعة، ويعود أصلهم من حوض البحر المتوسط، أما استقرارهم فهم يسكنون على الشريط الساحلي، والسفوح الشمالية لسلسلة جبال الأطلس، كما توضحه هذه الخريطة، ويعتبر هذا الفرع الكبير من البربر [2]، وهو أصل البربر الذين سكنوا البلاد منذ أقدم العصور[3]، والبرانس جمع برنس، وتعني اللباس القومي المشهور عند المغاربة، وهم الذين يلبسون البرانس كاملة، أي بغطاء الرأس[4]، وبربر البرانس هم من أهل الزراعة والاستقرار [5]، وتوضح الخريطة أيضاً أهم قبائل البرانس وهي:

- ✓ أوربة: ويقطنون بلاد المغربين، الأوسط، والأقصى.
- ✓ كتامة: ويتواجدون بالجبال من المغرب الأوسط.

---

[1] مجهول: كتامة والحضارة الفاطمية، ص18- 19.

[2] Grand Larousse universel, (France, 1987) , 2/P1182.

[3] حسين مؤنس: مرجع سابق، ص42.

[4] ريمة درنيقة: مرجع سابق، ص22- 23.

[5] أحمد مختار العبادي: سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، مدريد، 1957م، ص202- 203.

- ✓ المصامدة: ويسكنون في جبل درنة في المغرب الأقصى.
- ✓ برغواطة: ويتواجدون في تامسنا، وجهات سيلا على المحيط.
- ✓ صنهاجة: ومنهم ملوك إفريقية بنو بلكين بن زيري[1].

2) سيرة أبي عبد الله الشيعي:

الداعي هو الحسن بن أحمد بن زكريا، وكني بأبو عبد الله، وقد اختلف العلماء والمؤرخين في تعدد ألقابه، أمثال "المسعودي"، و"الدرجيني"، و"ابن عذارى"، وغيرهم، عُرف بعدة ألقاب تدل في مجموعها على شهرته، وإتساع نشاطه، فأصله من الكوفة، قيل له الكوفي[2]، والشيعي لشدة إخلاصه لمذهبه[3]، والمعلم[4]، لإتقانه أساليب تعليم مذهب الباطنية، والدعوة، وجعلها ستاراً يتخفى وراءه من خلال التمويه والخداع، وظهر ذلك في مكة (موسم الحج)، وفي قبيلة كتامة، ولقب بالمحتسب لممارسته خطة الحسبة في سوق الغزل بمدينة البصرة [5]، والصوفي لتقشفه في الحياة، وملازمته للبس الخشن من الثياب[6]، وعرف أيضاً بالأهوازي نسبة للأهواز، وهو لقب لُقب به في مشارف المغرب العربي [7]، والإحجاني، نسبة إلى إلكجان [8]، والسيد تعظيما لقدره [9]، والصنعاني نسبة لصنعاء باليمن [10]، وعرف أيضاً بالصناديقي[11].

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص192- 193.

[2] أحمد أبو العباس القلقشدي: نهاية الأرب في أنساب العرب، ج 27، تح: إبراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959م، ص25.

[3] إبن الأثير: مصدر سابق، ج6، ص126.

[4] إبن خلدون: مصدر سابق، ج4، ص65-76.

[5] إبن حماد الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد سيرتهم، تح: التوهامي لقرع، وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص36.

[6] أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج 1، تح: يوسف أسعد داغر، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ض186-187

A.Gateau, la sira de jafar-hajib dans hesperis,1947, P380.

[7] إبن عذارى: مصدر سابق، ص169.

[8] أحمد بن السعيد الدرجيني: طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة،1974، ص109.

[9] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص27.

[10] Bousquet (G-H) : Les Berbères, Presses Universitaires *de* France, 1967

[11] أبو العلاء المعري: رسالة الغفران، تح: فوزي عطوي، دار صادر، بيروت، لبنان،1968م، ص222.

في الأول كان صوفيا ثمّ اعتنق الإسماعيلية في العراق، ويعتبر أبو عبد الله الشيعي رائد من رواد المدرسة الباطنية، فما هي الباطنية إذن؟ .

مفهوم الباطنية:

وهي فرقة من فرق الشيعة الإسماعيلية التي تنسب إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق [1]، وأطلق عليها اسم "الباطنية"، وذلك لقولهم «لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً»[2].

نتيجة استخدام التشيع القبيح[3]، ونذكر على سبيل المثال ما قام به زعيم الباطنية "أبو الطاهر الجنابي[4] من أعمال شنيعة لا توصف كقتله لحجاج مكة في حرمها، ودفنهم في بئر "زمزم"، كان ذلك في شهر يحرم فيه القتال، زد عن ذلك إساءته للكعبة وتمزيق سترتها[5].

والأسوأ ما فيه أنه جاء لإظهار مذهب التشيع في حلة تمويهية لإبراز الأفكار الفاسدة التي تسعى لتحطيم الإسلام[6].

3) أبو عبد اله التلميذ:

تتلمذ "أبو عبد الله الشيعي" وغيره على يد كبير دعاة المدرسة الإسماعيلية في "اليمن"، سميت بمركز الدعاة، لبعدها عن أنظار الخلافة العباسية وقربها من الحجاز مجمع الحجاج [7]، وهو "أبو القاسم الحسن بن فرج حوشب ابن زادان الكوفي"، الملقب "بمنصور اليمن" لما أتيح له من النصر [8]، علّم تلقين فنون الدعوة الإسماعيلية من الفقه، وأنواع الفنون، والألوان، وخطط المناهج الدعوية، فأحسن تعليمهم، وتخرج على يديه حوالي سبعين رجل، بلغوا مبالغ الدعاة، وكانوا من عدة الدين، وتقات المؤمنين، حيث اعتبرهم "إبن حوشب" كنز الدعوة الإسماعيلية، منهم من مكث عنده قرابة سنة، وفيهم سنتين، ومنهم أكثر، فتكاثر عددها وصار "ابن حوشب" يعد العدة، يجهز القوة

---

(1) الحسيني العاملي: أعيان الشيعة، ج11، ط2، 1954م، ص273.

(2) الشهرستانيي: الملل والنحل، ج1، تح: الأستاذ أحمد فهمي مُحَّد، ط2، دار الكتب العلمية، ط2، 1413هـ، ص191.

(3) عثمان السعدي: الجزائر في التاريخ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة2012، ص256.

(4) أبو حماد الصنهاجي: مرجع سابق، ص51.

(5) الحافظ إبن الكثير: البداية والنهاية، ج11، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط3، 1978م، ص160.

(6) أبو حامد الغزالي: فضائح الباطنية، تح: جولد تسيهر ليدن، 1916، ص18-20

(7) أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،1978م، (ب، ط)، ص173.

(8) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص06.

العسكرية بتجيش الجيش في الخفاء إلى حين الموعد [1]، لكن أمر الدعوة تفشى في اليمن، وظهر دعاتها، فلم يجد المنصور خياراً سوى إعلان الحرب، حيث ابتنى له حصناً بجبل "لاعة"، وبفضل عظمة وقوة جيشه افتتح المدائن باليمن، وامتلك صنعاء، وأخرج بني يعفر منها [2]، وفرق الدعاة عبر نواحي اليمن، وفي جميع لأمصار، والبحرين، والسند، والهند، ومصر، والمغرب [3]، فلما علم "ابن حوشب" نبأ موت الداعيان، وقعت عيناه على الداعي "أبو عبد الله" الذي تمدرس عنده قرابة السنة، ليكمل رسالة أبي سفيان، والحلواني في المغرب الإسلامي[4].

ومن خلاله يمكننا أن نتساءل لماذا وقع اختيار "إبن حوشب" على أبو عبد الله بالضبط؟ ونفهم من هذا أنه اختاره لما التمس فيه من الصفات القيادية البارزة، وقدرته الفائقة على استمالة الناس لأنه كان ذا علم، ودين، وورع، وأمانة، ونزاهة، حيث كان أكثر علمه الباطن، ونظر في علم الظاهر لم يبالغ فيه[5].

وكان اتجاه "أبو عبد الله" إلى مكة مع حجيج اليمن [6] في سنة (279 هـ/ 893م) [7] ، لمباشرة مهمته السرية التي توقفت بموت الداعيين، ألا وهي توطيد العلاقة مع حجاج المغرب الإسلامي، ومن هنا نفهم أن الداعي أرسل ليبدأ في تطبيق المرحلة الثانية (العملية) من منهجه المكملة للمرحلة النظرية الأولى لداعيين، وعند انتهاء مراسيم الحج، طاب بهم المقام في "منى"، أين التقى الداعي برجال كتامة فاختلط بهم لإلمامهم بتعاليم المذهب الإسماعيلي، فسُر بمعرفتهم، وفي هذا المضمار اختلف الباحثين والمؤرخين حول تحديد عدد الحجاج الذين التقى بهم "أبو عبد الله الشيعي"، حيث قدر إبن عذارى [8]، عددهم بنحو عشرة رجال كانوا ملتفين على شيخ منهم، ويقول إبن

---

(1) مُحَمَّد سهل طقوش: مرجع سابق، ص65.

(2) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص16.

(3) عادلة علي الحمد: قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، دار ومطابع المستقبل، القاهرة،1980م، ص77.

(4) أحمد مختار العبادي: مرجع سابق، ص174.

(5) القاضي النعمان، نفس المصدر، ص26.

(6) أحمد مختار العبادي: نفس المرجع، ص125.

(7) مُحَمَّد سهل طقوش: مرجع سابق، ص66.

(8) ابن عذارى: مصدر سابق، ص125.

خلدون "أنه لقي رجالاتهم"[1]، وفيهم من لقي الحلواني، وأخذ عنه[2]، وحسب القاضي النعمان، فقد فقد كان من الزعماء الكتاميين "حريث الجميلي"، و"موسى بن مكارمة" [3]، أو (مكاد) حسب ابن الأثير[4]، ومنهم من قال أنه تعرف على جماعة من رؤساء كتامة[5].

كانت الجماعة الكتامية تضم شخصين ينتميان إلى بطن كبير من بطون كتامة هما "حريث الجميلي"، و"موسى بن مكارم" [6]، اللذين تشيعا على يد الحلواني، حيث دار حديث مطول بين أخذ وعطاء مع الطرفين، ومضمونه فضائل "علي" وبنيه [7]، وبمنهجه الذكي الذي يُستند على الحيلة والمكر، استمال قلوبهم، ونال إعجابهم، فتكررت اللقاءات، وكثر الحديث بينهما بين سؤال وجواب حتى اقتنعت به الجماعة، واستهواهم بمنهجه القوي إلى درجة التأثير النفسي، حيث استخدم كل وسائل الإقناع من حجة ساطعة، وبيان ساحر، استخدم فنون الكلام، من قوة خطابة، وقوة الاسترسال اللغوي، والإبداع، وحسن استفهام المعنى من سلاسة، وطلاقة، إلى عمق الأفكار[8].

ومن ذلك كانت وسيلة الحج نعمة على دعاة الشيعة، ومن بينهم "أبو عبد الله"، ونقمة على سكان المغرب الإسلامي، لأنها شيعت الكثير منهم[9].

استطاع "أبو عبد الله" الإلمام عن كل شاذة، وفادة في المغرب، خاصة الكتامية، بعدما عرف أنها أقوى القبائل في المغرب، وأن الكل هناك يوليها الطاعة والاحترام، وتمكن من التعرف، والإحاطة بمختلف جوانبها من خلال ضعفها وقوتها من الجانب العسكري، وموقعها، ونقاط اتصالها بمختلف المناطق، وانتعاشها اقتصاديا من حيث المنتوجات التي تزرع فيها، وكذلك تجارتها من حيث حركة

---

(1) عبد الرحمان ابن خلدون: تاريخ العلامة ابن خلدون، ج 8، سلسلة الأنيس للعلوم الإنسانية، الجزائر، 2007م، (ب، ط)، ص65.

(2) موسى لقبال: مرجع سابق، ص536.

(3) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص29.

(4) إبن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص32.

(5) عبد الله كمال موسى عبره: الفاطميون وآثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن، دار الآفاق العربية، ط 1، (1421هـ، 2001م)، ص35.

(6) القاضي النعمان: نفس المصدر، ص29.

(7) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 26، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بمصر، 1954م، ص20.

(8) موسى لقبال: دور كتامة، نفس المصدر، ص27.

(9) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص27.

التبادل التجاري، وتوافد التجار عليها، ومجتمعها من خلال عاداته وتقاليده، ومن حيث الجانب الثقافي ومدى تقبل سكانها للأفكار الجديدة وغيرها[1]، من خلال حداثة المغرب بالإسلام.

وهكذا نجح "أبو عبد الله" في أداء مهمة منهجية، ممنهجة ونال تقديراً كبيراً، لما عُرف عن سكان المغرب الإسلامي تقديرهم للعلم والعلماء بصفة عامة وكتامة منه بصفة خاصة[2].

ومن الملاحظ أيضاً أن الكتاميون أعطوه حجماً أكبر من حجمه، وتبين ذلك من خلال أفعالهم معه، كانوا إذا مشى، مشوا حوله، وإذا نزل يقضي حاجته، نزل بعضهم معه، وصل بهم الأمر إلى درجة يستسقون الماء له، وسعوا جاهدين لخدمته[3]، رغبوا منه أن يبقى على صلة دائمة بهم، فلبى فلبى رغبتهم[4] في السير معهم إلى بلادهم [5]، وفي أثناء الرحلة سأله رجال كتامة عن أمره، وشأنه فأجابهم «أنا من أهل العراق، تفانيت في خدمة السلطان، حتى علمت أن خدمته ليس فيها خير لي وليس فيها شيء من البر، فاستقلتها، وصرت أسعى طالب المعيشة في الحلال، فلم أجد خيراً منها إلا تعليم القرآن للصبيان، ثمّ سألوه عن وجهته، فقال لهم بلاد مصر، فأجابوه نحن أيضا طريقنا مصر إلى بلاد المغرب، فعرضوا عليه الذهاب معهم إلى بلادهم [6]، فأظهر عدم الرغبة في البداية، ثمّ تراجع عن موقفه بمنهجه الماكر، فلبى طلبهم، ونزل في القيروان ليبحث عن موطن الضعف في دولة الأغالبة، وبعد أن أيقن أن أقوى القبائل في المغرب هي كتامة، فقرر الذهاب إلى أقاليمها لمباشرة منهجه الدعوي المذهبي، وتنفيذ مشروعه السياسي[7].

وثمّ ذلك كله بمساعدة صاحبه "الشيخ الكتامي" الذي نزل عنده ضيفاً "أبو عبد الله الأندلسي"، أما "حريث الجميلي" ذهب عند "أبي المفتش"، أما الباقي نزلوا عند السماتيون الذين بالغوا في إكرامهم[8].

---

(1) موسى لقبال: ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني (مذهبية وتوحيد)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1990م، (ب، ط)، ص26.

(2) نفسه، ص26.

(3) القاضي النعمان: نفس المصدر، ص30.

(4) موسى لقبال: نفس المرجع، ص26.

(5) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص160.

(6) علي حسني الخربوطلي: مرجع سابق، ص37.

(7) لخضر سيفر: التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي، ج1، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2007م، ص 138-139.

(8) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص33.

ومن ثمّ نجح الداعي في تحقيق وجهة مقصده، والوصول إلى إقامة دولة فاطمية بالمغرب ولعل إحساس ضنه في نجاحه يعود لأسباب منها:

4 - إقامة الخوارج الإباضيون للدولة الرستمية بقيادة عبد الرحمان بن رستم سنة 144هـ.

5 - إقامة العلويين للدولة الإدريسية سنة 184هـ[1].

يمكننا تقييم ما سبق:

إن بوادر نجاح منهج الدعوة لأبو عبد الله الشيعي في الدولة الفاطمية بالمغرب ظهر مع حجيج كتامة البربرية في مكة، وكان ذلك بمثابة نقطة انطلاق لمرحلته العملية، وإن اصطدامه بالدول القائمة بالمغرب هو ما شجعه لمواصلة دربه لتحقيق آمال السلف المتعلقة عليه ألا وهي إقامة دولة بخلافة شيعية إسماعيلية بسطت هيمنتها على ربوع العالم الإسلامي[2].

المبحث الثالث: نزول الداعي المشرقي عند كتامة.

قبل أن أعرج إلى نزول الداعي "أبو عبد الله الشيعي" عند قبيلة كتامة، تجدر بي الإشارة إلى تعريف كتامة بالمفهوم الجغرافي، باعتبارها القوة الضاربة التي استند عليها الداعي في مسيرة دعوته، كما يرجع لها الفضل في إنجاح منهج تأسيس الدولة.

1) المفهوم الجغرافي لكتامة:

تمتد حدود قبائل كتامة من الساحل بالقرب من مرسى الخرز (القالة) إلى ما وراء مرسى "دلس" في أرض زواوة، وتشمل هذه المنطقة الشاسعة "القالة"، و"عناية"، و"القل"، و"سكيكدة"، و"جيجل"، و"بجاية"، و"دلس"، وفي داخل هذا العمق توجد مدت وقرى قبائل كتامة، وهي "قالمة"، و"سوق أهراس"، و"سطيف"، و"إيكجان"، و"قج مزالة"، و"ميلة"، و"قسنطينة".

ويتبين من هذه الحدود التقريبية أن لقبائل كتامة حدود ساحلية تشرف على حوض المتوسط، كما تحتضن بيئة كتامة كتلة جبال "شمال قسنطينة"، و"البابور"، و"تابابور"، كما تجاورها كتلة "جرجرة"، ونظراً لقربها من إفريقية (تونس) فقد أدى هذا الموقع الجغرافي المتميز دوراً كبيراً، واستراتيجيا في توجيهاته السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والروحية[3].

---

[1] لخضر سيفر: مرجع سابق، ص141..

[2] بوبة مجاني: المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب، منشورات الزمن، 2005م، ص03.

[3] المجهول: مرجع سابق، ص16.

إن أصل قبيلة كتامة حسب "ابن خلدون" فإنهم ينحدرون من "كتم" إبن "برنس" الذي ينحدر من مازيغ، فهم إخوة مع صنهاجة الذي ينحدرون أيضاً من "مازيغ"[1].

وهذا ما يجعلنا نتساءل، لماذا فضل "أبو عبد الله الشيعي" قبيلة كتامة دون غيرها؟ وكيف استخدم منهج الدعوة فيها؟.

إن تفضيل الفاطميين كغيرهم من الشعوب الطامحة في إقامة دولة لها، ولاسيما "الداعي أبو عبد الله الشيعي" لقبائل "كتامة" – دون سواها- لمكانتها الاجتماعية المرموقة عن باق القبائل[2].

إذ تعتبر من القبائل الأكثر عدداً، والأصعب مراساً[3]، ومن أعظم بطون البربر التي تسكن جبل الأوراس[*] الوعر [4].

ومما يلاحظ أن الدعوة الإسماعيلية قد وجدت بالمغرب الإسلامي بزمن طويل قبل قدوم "أبي عبد الله الشيعي"، وبصورة أكثر تنظيماً وسرية، فأصبح لها مراكز انطلاق الدعاة وجلب الأتباع، وكان منهج دعاتها الغاية منه خلق كيان سياسي انطلاقاً من المغرب الأوسط باعتبارها القاعدة الأساسية في تأسيس دولة مترامية الأطراف[5]، وإن قدوم الداعي إلى بلاد كتامة من المغرب الإسلامي، وجد الأمر ممهداً، والمذهب الإسماعيلي قد أخذ شوطاً معتبراً، فسار على منوال سابقيه في التدرج، والاعتدال عند نشر دعوته[6]، ومما يلاحظ أن هذه القبائل ظلت في معزل عن الاضطرابات السياسية، والدينية، لكن خروج "الداعي" فجئت قلب موازين الظروف فيها، فوجدوا في دعوته مخرجاً لمحنتهم، ونوراً مستفيضاً لجهلهم، ورد اعتبار لأحقادهم المتدافنة[7].

---

(1) مولود قايد: البربر عبر التاريخ من الكاهنة إلى العصر التركي، منشورات ميموني هشام، ط4، 2001م، الجزائر، ص31.

(2) أندري برنيان وآخر: الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: اسطنبول رابح، ومنصور عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، (ب، ط)، ص100.

(3) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص24-25.

(*) تقع في جنوب إفريقية، وهي البلاد الممتدة من طرابلس الغرب إلى طنجة. للاستزادة انظر: البكري: مصدر سابق، ص36.

(4) أحمد مختار العبادي: مرجع سابق، ص174.

(5) جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة، (د، ت)، ص24.

(6) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص125.

(7) فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص90.

ومما يلاحظ أن تلك القبائل الكتامية، ظلت محافظة على أهميتها العددية، وتلاحمها القبلي، وتمسكها بعصبيتها القبلية، ويفسر من ذلك أن العصبية هي بذرة الملك ومبعث العزة [1] يتوزع تاريخ منهج الدعوة التي قام بها "أبو عبد الله الشيعي في أرض كتامة إلى شوطين أساسيين هما:

1) **الشوط الأول:** وهو الدور السلبي (288هـ- 291هـ)، كان مجرد دعاية سلمية لتأثير وجلب الأنصار إليه فاستزمن ذلك ثلاث سنوات، انطلق بها مباشرة من قلعة إيكجان تحت حماية قبائل بني سكتان[2] من فكرة دينية[3].

2) **الشوط الثاني:** وهو الدور الإيجابي، استغرق فترة من الجهاد الطويل المدى، انتهى بقيام الدولة الفاطمية بالمغرب[4].

بدأ صاحب المرحلة الثانية من الدعوة رحلته الشاقة مع الحجاج الكتاميين الذين ابتهجوا برفقته معهم، دخلوا حد كتامة يوم الخميس الخامس عشر من ربيع الأول سنة مئتين وثمانون هجرية (280هـ- 893م) [5].

ومن كثرة ما تأثروا به وقع نزاع حاد بينهما حول من سيحضى باستضافة الداعي عنده [6]، وقد اتضح هذا المنهج الدعائي السلمي الناجح من "أبي عبد الله الشيعي" بين أهالي المغرب الإسلامي من ذلك حينما نزل بمكان يقال له "فج الأخيار"[*]، حيث قال لأنصاره: «إن هذا المكان ما سمي إلا بكم »، فاستغرب الكتاميون، وسألوه من أين لك معرفة هذا المكان، فأجابهم البلدان توصف للناس، ثمّ يواصل حديثه إليهم قائلاً: «إن للمهدي هجرة تنبؤ عن الأوطان في زمان محنة وافتتان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهم من الكتمان »، فأنتم هم كتامة، وبخروجكم من هذا الفج سمي فج الأخيار [7]، فهو موضع عند بني سكتان، يقع في قلعة صغيرة يقال

---

(1) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص125.

(2) عبد الرحمن ابن خلدون: مصدر سابق، ص152.

(3) مُحَمَّد سن العيدروس: مرجع سابق، ص127.

(4) أحمد مختار العبادي: مرجع سابق، ص174.

(5) علي حسن الخربوطلي: مرجع سابق، ص39.

(6) القاضي النعمان: مصدر سابق،ص 36.

(*) جبل من جبال كتامة، أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص174.

(7) القاضي النعمان: نفس المصدر، ص37.

لها "إلكجان" [*] التي كانت منذ زمن بعيد همزة وصل بين الحجاج الأندلسيين وحجاج شمال المغرب[1]، ضف لذلك حصانتها الطبيعية ومناعتها التي لا ترام[2].

إن مثل هذا الخطاب الذي ألقاه الداعي أوجد وقعاً في نفوس قبائل كتامة، فازدادوا تعلقا به، فأصبح رؤساؤهم ينوبون عنه في الدعوة إلى مبادئ هذا المذهب الجديد بين أقوامهم[3].

إن منهج التأثير الذي استخدمه "أبي عبد الله الشيعي" في المجتمع الكتامي بما أظهروه له من أخلاق سامية، وحسن معاملة جعل أهالي القبائل على اختلاف طبقاتها الاجتماعية ينضوون في دعوته، على حد قول "القاضي النعمان" الأعرف بشؤون الفاطميين «وفشت دعوة أبي عبد الله الشيعي، وأجابة، ودخل أمره طبقات من الناس »[4]، ويتبين لنا من ذلك أن من دخلوا في منهج دعوته كانوا من مراتب اجتماعية متفاوتة.

ولا شك أن المنهج الدعوي الذي اعتمده "أبو عبد الله الشيعي" لجلب الأنصار قد مكنه على حد بعيد من بلوغ هدفه السياسي، هذا المنهج أتبث نجاعته في التفاف القبائل حوله، ولعل تلك الشعارات التي لوح بها الداعي، ما هي إلا خطط واهية من منهجه الذكي، وتمريرها بين القبائل خاصة الكتامية منها، قد لقيت تجاوباً كبيراً حتى مع المعارضين منهم، فتراه يناديهم "بالأخيار" [5]، و"الأخوان" أحياناً[6].

تميزت إقامة الداعي بالهدوء، حيث انصرف إلى الانشغال بدعوته ونشرها بين العامة والخاصة، حيث خصص لدعوته رباطاً يختلى بنفسه فيه، ويعقد اجتماعات مع رؤساء القبائل والمشايخ، إذ كان

---

[*] جبل قرب سطيف على مرحلة ونصف من بجاية، تتواجد به قبائل كتامة، وهو حصن حصين، ومعقل منيع. الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص63-70. انظر الملحق رقم (01).

[1] عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار الفكر العربي، ط1، 1994م، ص85.

[2] حسن العيدروس: مرجع سابق، ص128.

[3] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص37.

[4] نفسه، ص78.

[5] تقي الدين أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 1، تح: جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996م، ص41.

[6] القاضي النعمان: نفس المصدر، ص41-42.

بعضهم يفضل المبيت في رباطه تأثراً به، فكان هؤلاء يجدون مقاماً طيباً وكرماً مستفيضاً عند بني سكتان الذي عظم شأنهم وصلح حالهم في نظر سكان القبائل المجاورة[1].

ومما سبق يمكنني القول:

يرجع الفضل في نجاح الدعوة الإسماعيلية بالمغرب الإسلامي إلى عصر الإمام "جعفر الصادق" الذي أرسل داعيين وهما "الحلواني وأبو سفيان" سنة (145هـ/762م)، وأوصاهما بالتوغل والانفصال عن بعضهما، فنزل الأول بمنطقة "الناضور"، والثاني بمدينة "تالة"، إلا أن الحظ لم يسعفهما، ووافتهم المنية فاسحين المجال لصاحب البدر المنتظر إلا وهو "حسن ابن مُحَّد بن زكرياء" المعروف "بأبو عبد الله الشيعي"، وقد تعددت ألقابه فلا ربما تدل في مجموعها على شهرته، واتساع نشاطه، أصله من الكوفة، تتلمذ على يد كبير دعاة الإسماعيلية "ابن حوشب"، الذي أرسله إلى المغرب بعدما وصله نبدأ وفات الداعيين، وكان موسم الحج رابط قوي بين الداعي والكتاميون، سافر معهم إلى المغرب، نزل بالقيروان أولاً، ليبحث عن مواطن الضعف فيها بعدما تمكن من معرفة أن كتامة أقوى القبائل، قرر الذهاب إلى أقاليمها لمباشرة دعوته، نزل الداعي بإيكجان، فاستمال قلوب أهلها، تميز عهده بالاستقرار الاجتماعي المتبوع بالهدوء والتلاحم والاتحاد الذي مكنه إلى حد بعيد من ربط علاقات مع المناطق المجاورة، علماً أن المنطقة شهدت تراء معدني لا بأس به، وعلى الرغم من نجاح منهج التغيير الإصلاح للداعي في مختلف الميادين، يبقى حلم ورغبة الداعي في تحقيق حلم السلف لتأسيس دولة ترفع من قيمتهم وتعلي مجدهم.

(1) موسى لقبال: مرجع سابق، ص553.

الفصل الثاني

دور الصراع الفكري الدعوي في نشر التشيع للمغرب

تمهيد:

إن ما جاء به الداعي في المجتمع الكتامي غير أحوال الناس، فاطمأنت له القلوب، وازدادت مكانته الدينية، وداع صيته بين القبائل، فقصده البربر من مختلف الأماكن لينهلوا من علمه، ويستفيدوا من نصائحه، فانضوت صوبهُ كتامة بمختلف قبائلها [1]، ونظراً لاتساع نطاق الدعوة، وشموليتها، اهتم الداعي بزيادة عدد الأنصار، وتقويتها استعداداً لمرحلة الظهور والمواجهة[2].

المبحث الأول: خلافات كتامة على الداعي:

قبل التطرق إلى ذكر خلافات كتامة على الداعي، لا بد لنا من الحديث، ولو بإسهاب عن المنهج الشيعي من خلال مبادئه، ثم نعرج إلى الالتفاف عن البدايات الأولى لظهور فكرة التشيع التي أسهمت بشكل كبير في إثارة هذا الصراع الفكري الدعوي!.

إن المنهج الشيعي يقوم على أساس الدعوة إلى الإمامة، وهو مستمد من المنهج الذي اعتمده الإمام جعفر الصادق، ويعتمد المنهج الشيعي على مجموعة من المبادئ أهمها:

1) الاعتقاد على أن القرآن شامل لكل شيء، الأئمة فقط هم المختصون بفهم أسرار القرآن وبواطنه[3].
2) يتفق المنهج الشيعي مع منهج أهل السنة في القول بالمصادر الشرعية، وهي القرآن والسنة والإجماع، والعقل، والمنهج الشيعي لا يأخذ بالقياس.
3) اختلاف المواقف بين الشيعة، وأهل السنة فيما يتعلق بتفسير النص القرآني، من حيث قوة النص المفسر، ولشيعة تأويلات اختصوا بها، ويرفضون كل ما روي عن غيرهم من المذاهب[4].
4) اعتبار العقل دليل على الأحكام الشرعية في حالة عدم وجود دليل من الكتاب والسنة[5].

---

(1) حسن العيدروس: مرجع سابق، ص128.

(2) عادلة علي الحمد: مرجع سابق، ص118.

(3) مُحَمَّد أبو زهرة: المذاهب الإسلامية، ج2، دار الفكر العربي، ص59.

(4) مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة، بيروت،1984، ص15.

(5) مُحَمَّد فاروق النبهان: مرجع سابق، ص302.

إن تفاقم مثل هذه الفرق في بلاد المشرق، ولاسيما فرقة الشيعة لم يعد لها مكان آمنا، فاتخذت من بلاد المغرب الإسلامي مقصداً لوجهتها وزرع معتقداتها، وغرس أفكارها، فأطمر دعاتها في جميع أصقاعها لتبليغ المقصود بمنهج دعوي سياسي سلمي[1].

إن "التشيع" كما ذكر "الشهر ستاني" مبدأ يقوم على حب آل البيت، وهم الذين ناصروا علي، وشايعوهُ على غيره من الصحابة نصاً ووصيةً، وأن الإمامة لا تخرج عن أولاده [2]، أما الفئة التي والت علياً وناصرته سميت "بالشيعة" لكونها شايعتهُ، وبايعتهُ على الخلافة بعد وفاة الرسول – ﷺ–، وأصبحت الإمامة، والولاية فيما بعد من أكبر المسائل الخلافية بين المسلمين [3]، وقد عرفها ابن خلدون فقال: «اعلم أن الشيعة لغة هم الصحب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين [*]، من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه – ﷺ– ومذهبهم جميعاً متفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة وبتعيين القائم بها بتعينهم، بل هي ركن الدين، وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لبني إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه الإمام لهم، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر، وأن علياً – ﷺ– هو الذي عينهُ صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها، ويؤولونها على مقتضى مذهبهم جهابذة السنة، ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقة أو بعيد عن تؤيلاتهم الفاسدة[4].

وقد عرفها "أبو الحسن الأشعري" بأنها: «حصر الإمامة في علي بن أبي طالب بالنص في أبنائه وأحفاده»[5]، وقد عرفها أيضاً "ابن منظور" على أنها: «هم القوم الدين يعتون على أمر »[6]. «إن وجودها مستمد من فكرة دينية مقدسة»، على حد قول "ابن الحزم": «إن كل ما فرض هو أمر»[7]،

---

[1] Charles André julien : **histoire de l'Afrique du nord**, payot, Paris, 1952, P54.

[2] الشهر ستاني: مصدر سابق، ص278.

[3] عبد الرحمان بن خلدون: مصدر سابق، ص 206-207.

[*] هم علماء التوحيد المسمى بعلم الكلام.

[4] ابن خلدون: منفس المصدر، ص208.

[5] أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ج 1، تح: محي الدين عبد الحميد، (بـ ط)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص208.

[6] مُحَمَّد بن مكرم بن منظور: مصدر سابق، ص156.

أمر»[1]، فقد أوردها "بن حماد الجوهري" على أنها «شيعة الرجل، أي أتباعه، وأنصاره، وهم القوم الذين تشيعوا، وصاروا شيعة »[2]. وقد ورد ذكرها في آيات القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿..فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ...﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ﴾[4].

إن "التشيع"، يقصد به «حث القوم على حب آل البيت العلوي انطلاقاً من عهد الرسول –ﷺ–[5]، وقد تحول الخلاف النظري بين بني العباس من جهة، والعلويين من جهة أخرى إلى مواجهات مسلحة بين الطرفين، زادت في تعميق الهوة بينهما، وحفل العصر العباسي الأول بظهور انتفاضات عارمة، كانت تواجه بشدة وضراوة تزعمها الفرع الحسيني[*][6].

أما رواية ابن خلدون فإنها تشير أن الشيعة انقسمت إلى فرقتين، فرقة تقول بإمامة "موسى الكاظم بن جعفر الصادق"، وتعتقد أن إمامها الإثني عشر غائب في سرداب، وتنتظر قيامه من غيبته[7]، وفرقة ترى إمامة إسماعيل ابن جعفر الصادق، وتقول بإمام مستور حي يعمل سراً لإقامة دولة، وهي الفرقة التي سميت "بالإسماعيلية"، وإليها ينسب الخلفاء الفاطميون الذين قاموا بالمغرب الإسلامي[8]. وقد اختارت هذه الفرقة من مدينة سلمية [**][9]، مركزاً لها للاستقطاب الأنصار

---

[1] أبو مُحَمَّد علي بن أحمد ابن الحزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخناجي، (ب، ط)، القاهرة،1317هـ، ص110.

[2] إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور، ط 2، القاهرة، 1402هـ، ص1087.

[3] القصص: الآية 15.

[4] الصافات: الآية 83.

[5] موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ج 1، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، سحاولة، الجزائر، 2007، ط2، ص244.

[*] نسبة إلى "الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، خامس الخلفاء، وثاني الأئمة الإثني عشرية الإمامية.

[6] خير الدين الزركلي: الأعلام، ج2، ط2، 1954م، ص199.

[7] النوبختي: فرق الشيعة، عني بتصحيحه، ريتر، طبعة اسطنبول،1931م، ص57– 58.

[8] ابن خلدون: مصدر سابق، ص208.

[**] هي أرض حمص من بلاد الشام. ياقوت الحموي، ج3، ص240.

[9] ياقوت الحموي: مصدر سابق، ج3، ص272.

والمؤيدين ومنطلقاً لدعاتها في أنحاء العالم الإسلامي، والجزر البعيدة عن حاضرة الخلافة العباسية في بغداد[1].

لما اطمئن الداعي "أبو عبد الله الشيعي" من نجاح منهجه في ربوع كتامة، كشف حقيقة سره لبعض شيوخ كتامة المخلصة لهُ الذين تفاجئوا في أمره [2]، ونص النعمان يبين لنا ذلك في الفقرة التي تقول «ما أطول سفرنا معك، ونحن في غفلة عن مثل هذا منك» [3]، وهو ما يفسر لنا أن الداعي كان يخفي من وراءه سر الدعوة لأل البيت، وإن كشف مثل هذه الحقيقة ولدت ردود فعل مختلفة ومتفاوتة نوعاً ما لدى بعض الكتاميين، لأن الدعوة لم تبلغ درجة الإجماع آنذاك[4].

وما كان على الداعي سوى التصدي لقوة المعارضة التي كانت من شيوخ كتامة، وإشعال فتيل الرعب، والفتن في قلوب القبائل المجاورة، حتى تبقى على حيادها، ويضعف من عددها [5]، ونظراً لنشاطه الدعوي السلمي ارتاب في أمره البعض وقالوا: «لو كان هذا الأمر خير ما ستر، وما هو إلا خلاف دين الإسلام»[6]، خصوصاً عندما أقدم في منهجه على إدخال بعض التعديلات في الشؤون الدينية عن طريق ما يلي[7]:

6 - إقدامه على إلغاء صلاة التراويح بحجة أنها ليست من سنة النبي – ﷺ– وإنما سنها الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–.

7 - تعويض صلاة التراويح بتطويل القراءة في صلاة العشاء[8].

أوقع منهج الداعي في أوساط القبائل القلاقل والفتن التي تسببت بدورها في نشوب حرب دامية صعب إخمادها، فوصل بهم الأمر إلى حد امتشاق السيف [9]، وهو ما يجعلنا نتساءل إلى أي

---

(1) القاضي أبي حنيفة النعمان: مصدر سابق، ص28.

(2) حسن العيدروس: نفس المرجع، ص129.

(3) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص37.

(4) موسى لقبال: ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني (مذهبية وتوحيد)، تصميم: علي كفصي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص34.

(5) حسن العيدروس: نفس المرجع، ص129.

(6) القاضي النعمان: نفس المصدر، ص39.

(7) موسى لقبال: مرجع سابق، ص72.

(8) ابن عدارى المراكشي: مصدر سابق، ص137.

(9) نفسه، ص35.

حد آلت معارضة الكتاميين لمنهج الداعي؟، هل نجح منهجه في التصدي لحل تلك الخلافات؟، وماهو الدور الذي لعبته المعارضة في ذلك؟.

إن هذه الردود والخلافات كانت من بعض الكتاميين، الرافضين لأفكار الداعي، وعلماء السنة حول بعض المسائل الشرعية التي لا تدع المقارنة، والمقاربة بين الطرفين [1]، واتضح ذلك في قول القاضي النعمان: «من لم تطاوعه نفسه الخسيسة على ترك المعاصي ورياسة الدنيا» [2]، هذا لأن الخلاف وقع على فكرة لتحقيق الحزبية لآل البيت، ومن هذا تجدر بي الإشارة لتوضيح ولو نسبياً عن نسب الفاطميين فاعتبارها الانطلاقة الأولى لظهور فكرة التشيع.

إن لقب الفاطميين الذي سمي به خلفاء عبيد الله، يعتبر من الدلائل التي تذهب على أنهم من أولاد "علي بن أبي طالب"، و"فاطمة الزهراء"، بنت الرسول – ﷺ– فهم علويون بدرجة الأولى، أما عن أصل الفاطميين فكان يكتنفه الغموض، والاختلاف[3].

لكن الخلاف لا يزال قائم، وحاد حول أصل الفاطميين [4]، إلى يومنا هذا بين المؤرخين [5]، ولعل ذلك يرجع إلى سببين هما[6]:

1 -الاختلاف، والتضارب السياسي، والمذهبي الذي ساد بين المسلمين بعد موت الرسول – ﷺ–.

2 -امتناع الفاطميين من كشف أنسابهم مدة من الزمن، وستر أسماء أئمتهم من "مُحَمَّد بن إسماعيل"، حتى عبيد الله المهدي في الفترة التي اتخذوا فيها مبدأ ستر الإمام، إن اختلاف أراء الباحثين، والمؤرخين حول أصل الفاطميين بين مؤيدين يسقطون نسب الفاطميين إلى فاطمة وعلي كرام الله وجهيهما، وبين معارضين (منكرين) الذين يسمونهم العبيدين، وبني عبيد يتهمونهم بإدعاء انتسابهم إلى أهل

---

(1) عبد العزيز مجذوب: الصراع المذهبي بإفريقيا إلى قيام الدولة الزيرية، تق: علي الشابي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1975م، ص167.

(2) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص39.

(3) ابن نديم: الفهرست، القاهرة، 1348هـ، (ب،ط)، ص232-233.

(4) صالح يوسف بن قربة: أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته، ج 1، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2011م، (ب، ط)، ص92، 93.

(5) رشيد بورويبة وآخرون: مرجع سابق، ص136.

(6) مُحَمَّد سهيل قطوش: مرجع سابق، ص54.

البيت[1]، وقد تحول الخلاف النظري بين بني العباس من جهة، والعلويين من جهة أخرى إلى مواجهات مسلحة بين الطرفين زادت في تعميق الخلاف بينهما[2].

شهد العصر العباسي الأول ظهور انتفاضات عارمة انتهت برفع السلاح من أجل فرض مبدأ وراثة الخلافة بين أحفاد صهر الرسول – ﷺ–[3]، وعليه انقسموا إلى فرقتين، فرقة مؤيدة للإمامة "موسى الكاظم بن جعفر الصادق"، وفرقة تقول بإمامة "إسماعيل بن جعفر الصادق" الذي كان يعمل بسر لإقامة دولة إسماعيلية بالمغرب الإسلامي، وإليه ينسب الخلفاء الفاطميون[4].

---

[1] نف المرجع، ص53.

[2] رشيد بورويبة وآخرون: مرجع سابق، ص136.

[3] مولود قايد: مرجع سابق، ص32.

[4] نفس المرجع، ص32.

كما لعبت الزعامة والعصبية القبلية، والخوف من زوال المصالح، والامتيازات دوراً رئيسياً في حركة المعارضة، فاقتصرت في بادئ الأمر على الحملات الدعائية لتشويه سمعة الداعي وأنصاره [1]، فانقسم عنهُ الكتاميين إلى فريقين متضاربين والأمر واحد، مؤيدة، ومناصرة وهم "بنو سكتان" من قرية إيكجان الذي نزل ضيفاً عندهم، أما المعارضة فاشتملت على رؤساء بعض القبائل "كفتح بن يحي المساتي"، و"المهدي بن أبي كناوة" رئيس ولهاصة، وفوج من جيران رئيس أوجانة، و"أبو تميم فحل بن نوح" رئيس لطانة، و"زياد المتوسي" رئيس متوسة، وهم من وجهاء القبائل، وعمال الأغالبة [2]، وكذلك الولاة منهم "موسى بن عياش" صاحب ميلة، و"علي بن عسلوجة" صاحب سطيف و"حي بن تميم" صاحب بلزمة[3].

إن قيام الجماعة المعارضة من رؤساء كتامة على منهج الداعي (الأسلوب) لم يكن بالأمر السهل، ولا بالصعب أمام مشواره التأسيسي، بل دفعته للإصرار على المضي قدماً والتحدي وكسر العقبات، لكن أمر المعارضة سرعان ما تطور إلى الضغط القبلي على قبائل بني سكتان لقبول مجلس مناظرة الداعي في أفكاره ومنهجه [4]، حيث اتخذت المعارضة أشكالاً من المواجهة التي كان لها الأثر العميق في حياة المجتمع، وظلت في نظر المجابهين للدعوة الفاطمية مرادفات ذات دلالات حقيرة.

وإذا كان الأمر كذلك، فما هو الهدف الذي يرمي إليه من وراء دعوته؟

كاتب صاحب ميلة "موسى بن عياش" مرسولاً إلى رؤساء وزعماء كتامة يخبرهم فيه بضرورة إرسال "الداعي" قصد امتحان أمره يجمعه مع العلماء في مجلسه لمناظرته لكنهم رفضوا المرسول، وهو ما تبين في الفقرة «بما كنا ممن يسلم ضيفه إليك» لكن صاحب ميلة أصر على المحاولة والإلحاح مرة أخرى، لكن الأمر سار على حاله، فلم يكن لهُ بدًا سوى إرسال مكتوب يحذرهم فيه من سوء العاقبة، وراء هذا الرجل الغامض، وإن داع أمرهُ إلى صاحب إفريقية "إبراهيم بن أحمد" نالهم منهُ ما يكرهونه[5].

---

(1) موسى لقبال: نفس المرجع، ص34- 35.

(2) عادلة علي الحمد: مرجع سابق، ص122- 123.

(3) نفسه، ص121.

(4) موسى لقبال: مرجع سابق، ص35. راجع: كتاب المناظرات لإبن هيتم.

(5) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص39- 40.

لكنهم خالفوا الأمر في المرة الموالية، والقول يثبت لنا صحة ما سبق في الفقرة «وما كنا بمن يسلمه، ولا يخذله، ولا يدع أحدًا تمتد يده إليه، هو ضيفنا، وبين أظهرنا»، ولا شك أن قول النعمان جاء ليوضح لنا أمراً مهم جداً، وهو تحصن الداعي بالكتاميين، وتمسكهم به [1]، ولما لا نقول أنهم يشكلون له الدرع الواقي لحمايته، لكن خبر "الداعي" انتشر إلى "إبراهيم بن أحمد" الذي بدوره قام بإرسال مكتوب يستفسره عن أمره، وخوفاً منه استصغر شأنه، وهو ما يفسر لنا خوف صاحب ميلة من العزل لمنصبه، لكنه كان على فطنة من أمره[2]، فأحاكوا المؤامرات، وتكاتبوا وتراسلوا وتعاقدوا فيما بينهم لحل مسألة الداعي. فاقتصر الرأي على "بيان بن صقلان" [*] فأرسلوا له أربعة أفراس ومائة شاة هدية، وهو ما بين في ذلك «إن هذا الرجل غير الدين والملة وشتت الشمل وفرق الوحدة وبدد أمر القبائل فيما بينها» فجئناك قاصدين إليك عنه فلا تردنا خائبين إما أن تقضي عليه، او تنفيه خارج ديارنا، ولك منا الرياسة والشوف مع تواب الآخرة وأجرها، وتزيل عنا شر وبلاء هذا الرجل [3]. لكن "بيان صقلان" رفض من خلال ما وضحته الفقرة «إن هذا الرجل نزل ضيفاً عندنا وحميناه بين أظهرنا، فكيف لنا أن نغدر به؟». لكن الجماعة ألحت على "بيان صقلان"، وطلبت منهُ مناظرة الداعي مع العلماء فإن كان على حق زالت حجتنا فيه، وأبقيناه بين أضلعنا، وإن كان منهجه على باطل أقمنا عليه الحجة وقتلناه [4]، وهذا ما يفسر لنا أن اختيار الكتاميين المخالفين "لبيان بن صقلان"، لم يكن اختيار عشوائي، بل كان من المشاورة، والحكمة، وهذا لانحيازه وعدم دخوله في الدعوة، وكان انزعاجهم منه لأن مجيء الداعي جلب لهم منهج يتنافى مع ملة الإسلام[5].

انجر عن منهج الداعي وقوع الفتن والقلاقل والحروب بين قبائل كتامة المختلفة المزاج فسارت الأمور بينهم إلى ما لا يحمد عقباه، هذا لأن الفرقة المخالفة كانت تضن أنها ستحضى بتأييد كل زعماء القبائل، وبالتالي يخمدون نار الفتنة المشتعلة ويتغلبون على "قبائل بني سكتان"، لكن السكتانيون كانوا على فطنة من الحيلة الموجهة لهم، فعقدوا العزم على السير إليهم بجمع جيشهم، ولما

---

(1) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص40.

(2) نفسه، ص41.

(*) وجه من وجهاء كتامة من بن سكتان. القاضي النعمان، المصدر نفسه، ص54.

(3) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص54.

(4) نفسه، ص54.

(5) مُحَمَّد فاروق النبهان: مرجع سابق، ص296.

صاروا بين منطقتي "تاكوت"، و"وادي النحاة" [1]، التقى الجيشان، فقال الأول "لبيان بن صقلان": «إنما أتيناك لما كان بيننا وبينك»، فرد عليهم بقوله: «إن ما جئتمونا بالزحف والعدة، إنما قلنا نؤتي بالعلماء فيناظرون الرجل، فنراكم جئتمونا بالملأ، وأن تنزعوه منا بالغلبة»، وهو ما يتضح لنا أن "بيان بن صقلان" بدأ يميل ويتأثر بدعوة الشيعي نوعاً ما، ودليله هو وقوفه مع صف "بني سكتان"، وما لبث أن طال النقاش بين الفريقان حتى وصل السيف غلى الأعناق ووقع بينهما قتالاً شديداً، حيث كان الداعي يصف حاملي السلام عليه بالملعونين في الأرض والسماء [2]،لم تشهد كتامة مثله من قبل، انتهى بنصر بني سكتان أنصار الشيعي [3]، كما حرص الداعي، وأنصاره على محاربة كل رموز المعارضة، سواء تمثلوا في حركات سياسية، ثورية، أو قادتها زعامات مذهبية مناهضة لسلطتهم.

وهذا النصر جاء ليوضح لنا أن منهج الداعي أخطى شوطاً كبيراً في وضع حجر الأساس، ووقوف "بني سكتان" إلى جانبه ماهي إلا ضربة حظ أنقدت منهج الداعي من قبضة المعارضين، إن انتشار الفتن بين القبائل الكتامية جلت حياة الداعي وأنصاره في خطر محدق [4]، ولو نتساءل لماذا فضل الداعي "أبو عبد الله الشيعي" الهجرة إلى تازورت؟، وكيف حسم أمرهُ مع المعارضين؟.

إن الداعي رأى أن الابتعاد عن ايكجان في هذه الفترة ضروري [5]، ووجب عليه الالتزام بمبدأ السرية، وحلت إيكجان من أنصار الداعي، وما بقي فيها حينها سوى أطلالها المنكسرة الأطراف [6]، الأطراف[6]، حيث اتخذ الداعي قبائل بني سكتان أحلافاً وأنصار له ومن تازورت مرتعا لدعوته.

وهو ما يجعلنا نقول أن نوع المنهج الذي اتخذه الداعي في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل التأسيس هو منهج تغيير المكان (منهج الفر)، والهدنة المبدئية؛

وما جاءت دعوة الزعيم "الحسن بن هارون الغشمي" إلا لتثبت صحة ذلك [7]. لكن هذه الدعوة تركت انعكاسات، فماهي إذن؟

---

[1] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص54.

[2] الجودري: سيرة الأستاذ جودر، تح: مُحَمَّد عبد الهادي شعيرة، وكامل حسين، دار الفكر، القاهرة،1954م، ص57.

[3] مُحَمَّد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص70.

[4] ابن عذارى المراكشي: مصدر سابق، ص168.

[5] القاضي النعمان: المصدر السابق، ص59.

[6] انظر الملحق رقم (02). الذي يبين أن إيكجان منطقة جبلية ذات حصانة طبيعية، ومعزولة عن الطرق، اتخذها الداعي لتهيئة دعوته، والإعداد النفسي والمادي لأنصاره، راج: المجهول: كتامة والحضارة الفاطمية، ص17.

[7] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص60.

تجلت فيما هو سلبي تمثل في تزعزع كيان قبائل "بني سكتان" الكتامية، وحسرتهم على فقدان قطب مشع من قبيلتهم، أما الأمر الإيجابي هو استعلاء مكانة "بني غشمان" بين سائر القبائل، وازدياد أهمية "تازورت" بين مختلف المراكز (مركز إيكجان)[1].

وهذه النقلة الجديدة شهدت تطورات كبيرة، نذكر أهمها:

8 - سرعة انتشار الحركة في مناطق بعيدة.

9 - خروج الداعي إلى مرحلة جديدة من مراحل منهجه[2]. وفي نفس الوقت أعطت إقامة الداعي في تازورت عدة اعتبارات (مميزات) نذكر بعض منها على سبيل التوضيح.

10 -عُومل الداعي وأنصاره عندهم كضيف من ضيوف "بني غشمان"، وبحصانة لائقة.

11 -مساعدتهم الفعالة على انتشار الدعوة في ربوع كتامة وإعطائها بعداً جديداً مع إكرام المنضويين تحت لوائها.

12 -تكفلهم بوفود الداعي، إقامة ومأكلاً مع تقوية علاقاتها.

13 -خروج الداعي من مرحلة التستر التي كان عليها في إيكجان [3] إلى الظهور في تازورت. التي صنفت اليوم قلعة من قلاع ودور الهجرة الإسماعيلية في المشرق والمغرب[4].

وغدت تازورت معقلاً لخيرة الأنصار، لكن لم يتوانى المخالفين في تتبع خطوات الداعي عن كتب[5]، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن كيفية دخول المخالفين إلى تازورت؟ وما هو الظرف الذي استغله المعارضين في ذلك؟.

استغل المعارضين علاقة الخصام والتوتر بين الأخوين "الحسن"، و"محمود" ابني هارون، بسبب رئاسة محمود للقبلية نظراً لكبر سنة، وخروج الناس عن طاعته ولائهم لأخيه "الحسن" لذكائه وشهرته، وانضمامه نسبياً لدعوة[6]، فأشحنوا "محمود" على طرد الداعي وقتله، وإن فعل له منهم رئاسة قبائل كتامة، وهذا لأنه أزال الفتن، والتمردات الخارجية الثائرة، وكان ذلك بعقد اجتماع بينه وبين رئيس

---

(1) موسى لقبال: دور كتامة، مرجع سابق، ص569.

(2) موسى لقبال: ملحمة الإيكجاني، مرجع سابق، ص38- 39.

(3) انظر: الملحق رقم (03).

(4) موسى لقبال: دور كتامة، المرجع السابق، ص573.

(5) نفسه، ص573.

(6) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص63- 64.

قبيلة لهيصة، والمعارضين يتضمن عقد مناظرة بين الداعي وعلماء تازورت، لكن هذه الجهود استصعب تنفيذها[1].

فما هي إذن أسباب فشل المخطط؟، ومن بين هذه الأسباب نذكر ما يلي:

14 -تولي "الحسن بن هارون" حصانة الداعي.

15 -تكاثر أنصار الداعي ووقوفهم إلى صف "الحسن بن هارون" الذي سيؤدي حتما إلى حروب أهلية طاحنة تمزقها وتفرقها[2].

ومن الملاحظ أن مشروع المناظرة رفضه "المهدي بن أبي كناوة"، وهذا رغم ملائمة الظروف.

لكن كيف تعامل الداعي مع هذا الظرف؟، وكيف حسم الأمر مع المعارضين؟.

إن تعامل الداعي مع هذا الظرف لم يكن بالأمر السهل، وإنما نجح بفطنة وذكاء منهجه وذلك عن طريق معرفة نوايا المخالفين باستخدام حيلة تضمن الولاء له ورئاسة القبيلة، ثم التخلص منه ومن المعارضين، فنجح الداعي في مهمته، وتشتت جمع الأنصار[3].

وخلص الأمر "للحسن بن الهارون" في ترأس القبيلة. وحسم أمر المعارضين، وتهيأ الداعي للثأر من قبيلة "لهيصة" عن طريق إشعال فتيل الحرب فيها، وفي الوقت نفسه أظهر المساهمة والاحترام مع من فرضوا الحصار على "تازورت" مع ضمان الحرية المذهبية والشخصية، وبهذا النجاح الذي حققه الداعي، ألزم خصومه بالفرار إلى "ميلة"، و"سطيف"[4].

داعت أخبار نجاحه عبر الأمصار، وغنم من هذا الانتصار غنائم كثيرة، واستغل في ذلك الفتن والمنافسات التي كانت فرصة لبروز شخصيات جديدة في هذا المضمار أمثال "عروبة بن يوسف"، و"أبو زاكي بن معارك"، وعمه "ماكتون بن ضبارة" و"الحسن بن هارون"[5].

إن منهج الداعي ونجاحه اشتد بساعد قبائل "غشمان"، و"لهيصة"، و"جميلة"، و"ملزوة"، وم"مزانة"، و"أجانة"، و"لطانة"[6]، وإن نجاحه ساعد على اتساع نطاق الدعوة إلى حدود "عجيسة"،

---

(1) موسى لقبال: نفس المرجع، ص583.

(2) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص62.

(3) نفسه، ص65- 66.

(4) موسى لقبال: ملحمة الإيكجاني: مرجع سابق، ص41.

(5) نفسه، ص42.

(6) مُحَمَّد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص67.

"عجيسة"، و"زواوة"، بعدما قضى على المخالفين، وشتت شملهم عبر مناطق عدة، "كميلة"، و"إفريقية". وتمتعت "تازورت" بالأمن والاستقرار [1]، وهو ما يبين من خلال هذا النجاح، ذكاء الداعي في امتحان إخلاص المقربين إليه، إذ لم يكتمل إلا بنجاح مناصريه[2].

ويمكننا تقييم ما سبق: رغم التغيرات الجدرية التي طرأت على المجتمع الكتامي بمجيء الداعي، إلا أنها كشفت حقيقة نواياه التي كانت سبباً رئيسياً في معارضة البعض له، إلا أنها سرعان ما منيت بالفشل، وأعطت لداعي فرصة أخرى لنجاح واستمرار المنهج التأسيسي.

المبحث الثاني: بداية الاحتكاك الأغلبي للدعوة الشيعية.

قبل أن نسهب في الحديث عن بداية الاحتكاك الأغلبي للدعوة الشيعية، استهل إلى ذكر المكان الذي ظهر فيه الداعي "أبو عبد الله الشيعي"، باعتباره مصدر قلق لصاحب ميلة [3]. كان الاختلاف حولهُ قائم على عدة افتراضات [4]، فالنصوص السابقة أثبتت أن إيكجان [5] تتمركز بين المدن الثلاث "قسنطينة"، و"سطيف"، و"ميلة"، لكنها في نفس الوقت تحتل مركز الوسط بين مدينتي "سطيف، و"ميلة"، وأما من الناحية السياسية، والتبعية الإدارية فكانت تابعة لمدينة ميلة باعتبارها أقل مسافة من مدينة سطيف، وهذا لعدة اعتبارات نتطرق لها في مضمار الدراسة والبحث.

ومن خلال هذا يمكننا أن نقول كيف كانت بداية الاحتكاك الأغلبي للدعوة الشيعية؟.

إن بداية الاحتكاك الأغلبي للدعوة الشيعية انطلقت مباشرة من انزعاج صاحب ميلة "موسى بن عياش" من ظهور الداعي المشرقي الذي ارتاب في حقيقة أمره لاشتهاره بين القبائل كتامة، وتوافد زعمائها رغبة في التقرب منه، الأمر الذي استعجل صاحب ميلة في إرسال طلب لبني سكتان بتسليم الداعي له ليختبره، ويجمع بينه وبين العلماء عنده لكنه رفض الطلب[6].

---

(1) موسى لقبال: دور كتامة، مصدر سابق، ص584- 585.

(2) Ivanow: The organization of the Fatimid Propoganda, voi, 15. JBBRAS 1939, p.

(3) موسى لقبال: دور كتامة، مرجع سابق، ص354.

(4) M.Talbi: op-cit, P599.

(5) انظر الملحق رقم (03).

(6) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص40.

وهو ما يفسر تمسك بني سكتان به، وهم ليسوا ممن يسلمون بضيفهم له، ولما أصيب الداعي بمرض الحصاة (في الكلى)، وكان مع رجل من بني سكتان سئل عن أقرب الأماكن للعلاج، فأشاروا عليه أن يقصد حمام ميلة، فلماذا أشاروا عليه ميلة دون غيرها؟ ولا ربما لأسباب نجهلها نحن؟.

قصد الداعي فندق كان لفرجون مولى "موسى بن عياش" صاحب ميلة، فنزل فيه للعلاج إلا أن أمر الداعي وصل إلى "موسى بن عياش"، فأرسل إلى فرجون ليرسلهُ لهُ، لكن كيف تعامل فرجون مع هذه المرسول؟.

تعامل فرجون مع هذا الطلب بكل حذر، بحيث خاف على الداعي من صاحب ميلة هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنه نزل ضيفاً عنده، فلا يحق أن يغدر بضيفه، فأرسل لداعي من ينذره بخطر صاحب ميلة، والخروج من الفندق، وحين وصل صاحب ميلة ليقبض على الداعي لم يجده، وفشل في لقاءه وهو ما يفسر احتكاك فرجون للدعوة الشيعية[1].

وقد أثبت ذلك في إرسال من ينذره بالخروج من الفندق، خشية وصول "موسى بن عياش" صاحب ميلة، وهذا خير دليل على ذلك، ولما اشتهر أمر الداعي المشرقي عند الأمير الأغلبي "إبراهيم بن أحمد" حاكم إفريقية كان له وقع كبير على حاكم ميلة "موسى بن عياش"، حيث طلب منه الأمير التقصي عن أخباره، والبحث في أمره، إلا أن هذا الأخير استصغر أمره إلى حاكم إفريقية وأخبره بعدم خطورة أمره[2].

وهو ما يفسر لنا أن الأمير الأغلبي أدرك مدى خطورة هذا الرجل على مصالح دولته، ورعيته، الأمر الذي جعله يسعى لكشف حقيقة ما يرمي إليه، عن طريق إرسال سفيراً له يدعى "ابن المعتصم المنجم" إلى صاحب ميلة "موسى بن عياش" يبلغه برسالة الأمير إلى "أبو عبد الله الشيعي"، انتهى الأمر بموافقة الداعي لمقابلة سفير الأمير الأغلبي[3].

فاستمع الداعي إلى ما جاء في رسالة الأمير الأغلبي، ويتبين لنا أن ما كانت تحمله الرسالة في مطوياتها من تهديد لم يعجب الداعي، وأساء إلى شخصه، وجاءت الفقرة تثبت ذلك في قوله: «ما حملك التعرض لسخطي، والثوتب على مملكتي، وإفساد رعيتي...» وما أضاف من إغراءات تثير طمع الداعي من أموال وأراضي، وهو ما آثار غضب الداعي بقوله: «ما أنا ممن يروعه الوعد

---

(1) نفسه، ص38.

(2) نفسه، ص37.

(3) نفسه، ص41.

والإبعاد، ولا يهوله الإبراق والإرعاد، وأني لست من أهل الطمع»، فأرسل الداعي مع مرسوله "ابن المعتصم" يدعوه بمجيء إليه[1].

ومن خلال هذا يفسر لنا النعمان في روايته مدى قوى شخصية الداعي، وثقته بنفسه، وشجاعته في تحدي الأمير الأغلبي، زد إلى ذلك تعظيم الداعي للدعوة الشيعة بأنها دعوة حق ترمي إلى إصلاح أحوال الناس بيد أئمة آل البيت وتعظيم دعاتها الحاملين للوائها، وما حمل الداعي لقول مثل ذلك؟ لأن قوة الداعي كانت من قوة الكتاميين.

إن هذا الرد كان له وقعاً قاسياً على "إبراهيم بن أحمد"، مما ولد له شعور الخوف والارتهاب من قوله، فخشي على ملكه ودولته من هذا الرجل الخطير[2].

ويتبين لنا من رواية النعمان أن "إبراهيم بن أحمد" تحاشى ذكره، ولم يعد يكترث به إلى حد أنه كان يتوهمه بين اللحظة والأخرى في قول النعمان: «والله لكأني أنظر إلى أكسية أصحابه منشورة على شرفات قصري هذا»، وما يفسر قول النعمان أن الأمير قلق في نفسه لدرجة أنه تنبأ بأن الداعي سيحتل يوماً القيروان، ومن خلال هذا يتضح لنا من رواية النعمان أن "إبراهيم بن أحمد الأغلبي" بدأ يحتك بالتشيع ويمل له مع الكثير من أهل بيته، خاصة السالميون منهم (3)، وكانوا بهذا التشيع يرون أخبار المهدي عن الرسول – ﷺ–، ويقرئون كتب الحدثان عما يكون.

ومن الملاحظ أن "إبراهيم بن أحمد" طلب من شيخ تونسي كبير سنه أن ينهله علم الحدثان[4]، وكان شاعراً لكن الشيخ أتلف لكبر سنه، فاعتذر من الأمير، فانشده بشعر :

أقولُ وأسلمتُ القريضَ لأهله وعشتُ زماناً، وهو خيرُ مكاثب

أمن بعد تسعين سنيناً أعدُّها وأربعة من بعد ذاك رواتي

أزاحمُ أهل الشعر بالشعر ناجزاً أبى الله هذا بعد أن جُبَّ غاربي

ولكنني أرجو من الله عفوَه بأوبة مأمون السريرة تائبِ

وآملُ عفراناً بفضل تلاوةٍ أرددها ليلي بفكرة آيبِ

صرفت أموري للذي أنا عبدُه إلهي ربَّ العرشِ معطي الرغائبِ

---

(1) رابح بونار: مرجع سابق، ص175.

(2) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص42.

(3) نفسه، ص43.

(4) نفسه، ص45.

أفصح عن معاني الأبيات، وفك غموضها للأمير الأغلبي، ولما صار الداعي في رقادة أنشدهُ "أبو اليسير"، فأعجب الداعي بهذا :

في الستٌ والتسعينَ يأتيك العَجبْ بعد كمال المائتين في رَجَبْ
من جيجلِ ينقضُّ جيشٌ ذو لَجَبْ أمضَى من الجمرِ إذا الجَمرُ التهَبْ
من بربرٍ يسعَوْن في كل حَدَبْ ركباً وَرَجْلاً يملُّون التعبْ
قد ملأوا المشرقَ خَوفاً وَرَهَبْ وأنزلوا بالغرب ذُلاً و نَصَبْ
تسعونَ ألفاً بين رأسٍ وذنبْ سيماهُمُ الحقدُ وإظهارُ الغَضَبْ

جاءت هذه الأبيات تفسر لنا ميل واحتكاك الأغالبة بالدعوة الشيعية.

ومما تقدم يمكنني القول إن الاحتكاك الأغلبي للدعوة الشيعية لم يكن بمحض الإرادة، وإنما كان خوفاً من ضياع مصالحهم، ودولتهم التي ستزول حتماً بهذا الاحتكاك على يد "أبو عبد الله الشيعي"، وهذا ما نتطرق إليه في مضمار الدراسة لاحقاً.

المبحث الثالث: هيكلة فكرة التشيع عند كتامة:

اتخذ التشيع منذُ نشأته الأولى فكرا مضاداً للعصبية القبلية، كما أن التشيع في المشرق إستند على أظهر الموالي من الفرس، فكذلك في المغرب، اعتمد على الموالي من البربر ولهذا الغرض اختيرت تربة المغرب لزرع فكرة التشيع، وأثمر حصادها بنجاح الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب الإسلامي [1].

ومن خلال هذا المضمار يمكننا أن نتساءل عن: ما هو منهج الداعي في اقناع كتامة الإباضية لمذهب التشيع؟.

كيف ناقش "أبو عبد الله الشيعي" فكرة التشيع مع كتامة؟

إن انتهاج "المشرقي" لمهام منهجه التي سارت في ظروف مناسبة، وملائمة، منذُ وصوله من المشرق، وكيفية استخدام مهارته في استغلال منهجه التأسيسي بذكاء وحنكة، تماشياً مع تلك الظروف الإستراتيجية السياسية، والاجتماعية والاقتصادية التي تشهدها مناطق كتامة الإباضية في بلاد المغرب الإسلامي[2].

---

[1] أحمد مختار العبادي: مرجع سابق، ص173.

[2] موسى لقبال: دور كتامة، مرجع سابق، ص560-561.

لكنها في نفس الوقت أحرزت شيئاً كبيراً من التطور، والتقدم بظهور الداعي [1]. واتضح ذلك جلياً في براعة منهجه الذي أقنع به حجاج كتامة لمذهب التشيع من خلال الالتقاء بمجموعة منهم، وممن تشيعا على يد الحلواني، "كحريث الجميلي"، و"موسى بن مكارمة" أو (مكاد) [2]، في موسم الحج بمكة المكرمة، وكان ذلك بمثابة الإكمال لما بدأهُ غيرهُ [3]، حيث كان موسم الحج أكبر فرصة لنجاح منهج الداعي[4]، الذي اتضح لنا فيما يلي:

1) تمكن منهج الداعي من الالتفاف بصورة سريعة، واستدراجها في مدة زمنية قصيرة، تجلى ذلك عند انتهائهم من مناسك الحج، ومكوثهم في "منى"، وبذكائه استطاع استقطاب مكان وجهتهم (رحلتهم) [5].
2) براعة منهج الداعي في النقاش، والاندماج معهم، حسم الأمر في لحظات من خلال تحصيل كل حاصل حول مهمته السرية، تبين ذلك في مجهوده الكبير مع الرجلين "حريث الجميلي"، و"موسى بن مكارمة"[6].
3) نجاح منهج الداعي في استمالة الجماعة الكتامية بطريقة عبقرية مثيرة، جعلتهم يتقربون إليه، ويميلون له، وهو ما يفسر أن لداعي "أبو عبد الله" شخصية قوية فذة، نجح بها في اجتذاب الجماعة، وكسب ودهم، وثقتهم[7] بفلسفة الفكر الإسماعيلي المشبع بمركز الدعاة[8].
4) منهج الداعي في الإقناع بواسطة التأثير النفسي، من حيث المهارة في استخدام المحسنات اللفظية من سحر البيان، والحجة [9]، بما أوتي به من فضل اللسان، وذكاء العقل، ونعمة العلم

---

(1) جمال الدين سرور: مرجع سابق، ص24.
(2) ابن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص32.
(3) موسى لقبال: ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني، مرجع سابق، ص25.
(4) علي حسن الخربوطي: مرجع سابق، ص33.
(5) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص29.
(6) نفسه، ص29.
(7) عادلة علي الحمد: مرجع سابق، ص93-94.
(8) بوبة مجاني: مرجع سابق، ص06.
(9) موسى لقبال: ملحمة الإيكجاني، ص25.

مسبوقة بفن الجدل، بتقنيات إسماعيلية، مستخدماً منهج التظليل، والتمويه من خلال تعدد شخصياته من حين لآخر[1].

5) منهج الداعي في استحسان تمرنه العملي بمحاسن الفكر الديني، وتمجيدهم للعلم مع تبجيل العلماء، وهو ما يفسر لنا أن ملكاته كانت بمثابة البعثة التكوينية [2]، من قاعدة اليمن وهي لا تختلف عن تلك الدراسة التي تلقاها وهو في الكوفة، هذا أن جميع الدعاة الفاطميين كانوا يتمتعون بحماس ديني، وفكر واسع، وإدراك قوي وذكاء خارق[3].

6) منهج الداعي في التركيز الجيد على استخدام الصبغة الدينية، وتطويقها بمهام التعليم، بما فيها العلوم القرآنية، من تفسير، وتجويد، وحفظ، وغيرها، وتعتبر بمثابة الستار الذي يخفي وراءه الدعوة لآل البيت مستخدماً فيها منهج التضليل من خلال إنكار أصله، فلقد وردت حينما قال: «أنا من العراق»، ثمّ قال: «كنت في خدمة السلطان، ثمّ استقلت عنها لأنها ليست من أفعال، وأنا شخص يرغب في كسب عيشه بحلال، ولم يكن هناك عمل أفضل من تعليم الصبيان القرآن» وهو ما يفسر لنا تعليم القرآن هو مفتاح الجماعة البربرية[4].

7) مهارة منهج الداعي في معرفة أحوال كتامة بشكل واسع، وأدق، وماهي الأوضاع التي تمر بها كتامة؟[5].

إذ تعتبر تلك المهارة بمثابة دراسة من دراسات منهجه في توجيه الأسئلة، والإبداع في النقاش، وهو ما يجعلنا نقول كباحثين جدد، أن الداعي "أبو عبد الله الشيعي" استخدم مع الجماعة الكتامية خطة التستر لتنظيم فكرة دينية مسبقة[6].

8) تنظيم منهج الداعي لفكرة التشيع للوصول إلى خفايا كتامة من العلم أساس المركز الذي لا يضرب به المثل[7].

---

(1) عادلة علي الحمد: نفس المرجع، ص94.

(2) موسى لقبال: نفس المرجع، ص25.

(3) مُحَمَّد أمين: مرجع سابق، ص251.

(4) Dachraoui, op-cit, p20.

(5) عادلة علي الحمد: مرجع سابق، ص94.

(6) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص30.

(7) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص31.

ويكمن هذا في أن المجتمع الكتامي خاصة تلك التي تقطن الجبال الصعبة المراس لم تكن لها دراية جيدة بالإسلام، إذ لا يملكون من اللغة العربية سوى القليل وبعض ما ينفعهم منها لإقامة طقوسهم، ومراسيمهم الدينية، حيث كان الجهل فيها ضارباً بأطنابه، رغم انفساح الإسلام في ربوعها لكنهم لا يفقهون من العلوم الشرعية إلا بعض المعلومات البسيطة[1].

9) نجاح منهج الداعي في تملك قلوب الجماعة الكتامية، ظهر ذلك في مطالبة الداعي للذهاب معهم إلى المغرب[2]، ثمّ تبين بصورة وضاحة حينما استخدم منهجه الاسترادادي المالكي، بقوله: «أرغب في مصر لتعليم الصبيان القرآن»، وهو ما فسر لنا مدى تعلق الجماعة به لدرجة عزوف الجماعة عن مفارقته، وهذا ما أتبته الفقرة التالية «فبلادنا أصلح لك من مصر» [3]، وفي الفقرة «وإذا أردت المال أعطيناك»[4].

ويكننا تقييم ما سبق، أن منهج الداعي "أبو عبد الله الشيعي" نجح في إقناع الجماعة الكتامة، وكسب ثقتهم، وودهم، هذا لأنه تدرب على الطريقة الباطنية[5] التي استعملها الدعاة الإسماعليون[6]. الإسماعليون[6].

هذا عن منهج الداعي في إقناع كتامة الإباضية لمذهب التشيع، إلا أن هذا النجاح لا بد أن يتطلب جهود هيكلية من الداعي "أبو عبد الله الشيعي"، فكيف هيكل الداعي فكرة التشيع مع كتامة الإباضية؟. الهيكلة الدبلوماسية في اختيار المكان وأصحابه، وتجلى ذلك في اختياره بقلعة إيكجان من أرض كتامة بضبط "فج الأخيار" [7]، وما يتمنى به من حصانة طبيعية، ومناعة لا ترام، وهو ما يفسر لنا أن هذا الاختيار لم يكن من محض الصدفة، بل جاء من فكرة مسبقة، لعلها من الدعاة، أو من "ابن حوشب" في حد ذاته، وتبث ذلك حين قال الداعي «هذا فج الأخيار؟»، وكان رد الجماعة بنعم، ثمّ استدرك الجماعة حينها أنهم لم يخبروا الداعي بهذا في قول "موسى"، و"حريث"«والله ما نعلم أن ذكرنا لك هذا الفج، فمن أين كل هذا؟»، لكن سياسة منهج الداعي

---

(1) فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص89.

(2) عادلة علي أحمد: مرجع سابق، ص95.

(3) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص31.

(4) نفسه، ص32.

(5) مُحَمَّد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، (1404هـ-1984م)، ص249.

(6) مُحَمَّد سهل طقوش: مرجع سابق، ص69.

(7) القاضي النعمان: المصدر السابق، ص36.

التمويهية لفكرة التشيع مع كتامة جعلت من جواب الداعي «البلدان توصف للناس» [1]، ودبلوماسيته في جلب أصحابه في قوله «هذا الفج ما سمي إلا بكم» [2]، وغير أسماء الأماكن مثل "وادي النجاة" وغيرها.

هيكلة المجتمع الكتامي من خلال التغير الإصلاحي الذي سنه من تنظيمات في مختلف الميادين الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، وغيرها لأن الداعي رأى أن البربر عاشوا حياة وحشية، وصعبة المراس، فمعظمهم عاشوا، وتعودوا على طريقة الجبال من جهل، وعصبية قبلية، وغيرها[3]، وكانت حياة البداوة عندهم تتطلب منهم العيش الصعب[4].

لقد كان المجتمع الكتامي عند وصول الداعي على قسمين رئيسيين هما "غرس بن كثم"، و"يسودة بن كثم"، وتعتبر أرض كتامة من المناطق الأشد تأثراً بالتيارات السياسية المذهبية الوافدة من المشرق، ومما يلاحظ أن معظم دعوات الخوارج "كصفرية"، و"الإباضية" لم تجد استجابة من الكتاميين إلا بنسبة ضئيلة[5].

ذلك أن منهج الداعي استند على كسب ود كتامة الذي قام فيها بتغييرات مست شتى الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية غيرها.

ويبدوا أن "أبا عبد الله الشيعي" كان يرمي من وراء ذلك إصلاح المجتمع الكتامي وإقامة نظام له لكسب قلوب العامة، عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتضح من هذا أن المنهج المتبع من قبل الداعي كان الغرض منه الدعاية لمذهبه بطرق السلمية، وجلب الأنصار في الشوط الأول من مرحلته الثانية، حيث لقب الداعي الدعاة الذين يختارهم لسائر نواحي كتامة "بالمشايخ"، أو "المقدمين"، مع العلم أن هذا اللقب مازال موجوداً إلى يومنا هذا في المغرب الإسلامي، مثلا في نواحي البيض، وكان نجاحهم في نشر الدعوة كبير بين العامة، وأواسط الناس في الأرياف والمدن، نجح الداعي في هيكلة مجتمع قوي ومتماسك مستند إلى بنية دينية سياسية متينة، لأن الداعي هدف من

---

(1) القاضي النعمان: المصدر السابق، ص37.

(2) نفسه، ص37.

(3) فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص90.

(4) عادلة علي الحمد: مرجع سابق، ص107- 110.

(5) نفسه، ص107- 110

وراءها تغيير الفكر الكتامي وإقامة عدالة في الحقوق والوجبات بين أفراد المجتمع[1]، فسن نظام الجزاء، من العقوبات لمن يستحقها دون التمييز بين فرد وآخر، حيث يعاقب المذنب الذي افتعل ذنباً مشين عن طريق قطع المجالسة، والمخالطة معه حتى يقبل الداعي توبته [2]، حيث ضبط بواسطته الحقوق والواجبات ووجب على المخالفين من الأنصار، وطبق عقوبة القتل خشية الوقوع في الثأر، فيتولى تنفيذها بنفسه، وإذا لزم الأمر يكلف بها غير بالنيابة، ضف إلى الحسبة الذي كان يمارسها في القديم بسوق البصرة، فكان يراقب الأسواق ويقمع الغش والتدليس [3]. وعلى عهده عرف المجتمع الكتامي ظاهرة السرقة، قامت بها مجموعة عاطلة عن العمل كونت عصابات لاعتراض أصحاب الأموال والتجار وغيرهم، كان هذا تحت تأثير الأوضاع الاجتماعية المزرية كقتل الفقيه "أبي العباس بن إبراهيم الأزدي الصائغ"[4].

أهم ما قام به الداعي أنه حارب حانات اللهو، والخمور الذي كان يكثر فيها الفساد، خاصة القيروان إلى درجة أنه أمر بقتل كل من يخرج ليلاً لشرب الخمر، أو حمله، أو وجد عنده[5].

كما حارب ظاهرة اللواط التي كانت متفشية في مجتمع المغرب الإسلامي، ولاسيما بين سكان مدينة سطيف[6].

كما هيكل بيت المال بتطهير أموال الناس بالزكاة، والإنفاق على الفقراء واليتامى، وأبناء السبيل، وهو ما يفسر لنا هيكلة التغيير الإصلاحي التي قام به الداعي نجحت بصورة غير معقولة، فانقطع الفساد بأنواعه، وزالت الفوارق الاجتماعية، وضبط الأمن ورسخ الاستقرار، فحفظت الأموال، وتفشت الأخلاق بين المجتمع الكتامي من معاملة حسنة، وصدق وأمانة، ونزاهة، ومن تواضع، واحترام، وآداب الحديث، فاستقامت أحوالهم [7]، ومن خلال هذا نفهم أن الداعي هيكل المجتمع الكتامي على قوة الجماعة التي ربطها بميثاق المذهب الإسماعيلي.

---

(1) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص82.

(2) عادلة علي الحمد: مرجع سابق، ص82.

(3) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص31.

(4) ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص151.

(5) نفسه، ص152.

(6) ابن حوقل: صورة الأرض، مصدر سابق، ص93.

(7) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص79.

وهذا ما يتضح لنا أن سبب نجاح منهج الداعي في مجال التغيير هو الفكرة الدينية التي رسخها في الأذهان من الحكمة، والدقة، وحسن التصرف مع المجتمع الكتامي[1].

كما نجح أيضاً في منهج تقسيم الدولة سياسياً وعسكرياً، وسعى من ذلك تحقيق غاية سياسية مخططة ومدروسة هدفها الأول والأخير هو تأسيس دولة ذات كيان سياسي بقوة المجتمع الكتامي[2].

ومن خلال ما سبق يجعلنا نتساءل عن ما هي الانعكاسات التي أحرزها منهج الداعي في الوسط الكتامي؟.

تجلى ذلك الانعكاس في تنظيم المجتمع الكتامي الذي حصل منه مجتمعاً متماسك البنية ومتجانس التكوين، قام على قوة الجماعة المربوطة بميثاق المذهب الإسماعيلي، وصاروا على أمرٍ واحد يتسمون إخواناً، ويتواصلون سراً وإعلاناً[3].

ومن خلال هذا المضمار وسع الداعي العلاقات التجارية مع مختلف فروع كتامة بمنهج شيعي، الغاية منه نشر المذهب عن طريق التجار، خلق جو تجاري نشيط، مكن هذه الفروع من إرسال مبعوثات استطلاعية أو مضيفة، ومن أمها:

16 –مبعوث قبيلة "مستالة" برئاسة هارون بن يونس.

17 –مبعوث قبيلة "غسمان" برئاسة الحسن بن هارون.

18 –مبعوث "أجانة" برئاسة أبي يوسف ماكنوت.

كما أدت هذه البعثات دوراً كبيراً في التعريف بآل البيت بمنهج فكري جديد هدفه إنجاح الدعوة بالحجة والإقناع[4].

---

(1) عادلة علي الحمد: مرجع سابق، ص112-114.

(2) M. Talbi, Op-cit, P619.

(3) موسى لقبال: ملحة أبي عبد الله الإيكجاني، مرجع سابق، ص32.

(4) نفسه، ص32.

إن نجاح منهج الداعي أثار ردود فعل بعض الكتاميين المعارضين لدعوته، لكنه نجح في التصدي لها بمجهوده الحربي، ويعتبر تغاظي الأمير الأغلبي عن أمره ما هو إلا بداية من بدايات احتكاكه بالدعوة الشيعية، وإن نجاح جهود الداعي في هيكلة فكر التشيع عند كتامة، ما هي إلا جهود من أبناء فرع الحسين، ابتداءًا من "جعفر الصادق" ، الواضع للأصول الأولى لفكرة التشيع الذي هيكلها الداعي في تخطيط منهجي مميع انتهى به الأمر للوصول إلى هدف سياسي بفكرة دينية مسبقة.

الفصل الثالث

الصراعات العسكرية بين الداعي وسلطة الأغالبة

تمهيد:

الملاحظ أنه مع ابتداء أمر أبي عبد الله الشيعي في بلاد المغرب الإسلامي، بدأت سلسلة من الحروب، والاضطرابات في بلاد كتامة بين مؤيدين للدعوة الجديدة، والمعارضين لها غير أن داعي الفاطميين استطاع في فترة وجيزة نسبياً أن يحسم الصراع لصالحه، فبعد أن استولى على أغلب المناطق التي كانت خاضعة لنفوذ الأغالبة [(1)]، هجم على سلطة الرستميين الإباضيين، وأسقط العاصمة "تاهرت"[(2)]، لتتواصل انتصاراته العسكرية بعد ذلك[(3)].

حتى تمكن "أبو عبد الله الشيعي" من بسط نفوذ الفاطميين في البلاد[(4)].

المبحث الأول: الصراعات في مجالات المغرب الأوسط:

قبل الدخول في تفاصيل صراع الداعي في مجالات المغرب الأوسط، لا بد من استعراض جغرافية المغرب الأوسط باعتبارها سبباً هاماً في دعم وترسيخ منهج الداعي، في تأسيس دولة قوية الأوتاد[(*)].

يشمل المغرب بلاد الجزائر، وكانت عاصمته مدينة "تاهرت" في عهد الدولة الرستمية[(*)]، ويمتد المغرب الأوسط من بجاية إلى وادي ملوية، وقاعدته مدينة "تلمسان"، ويشتمل على عدة مدن منها: "تنس"، و"جيجل"، و"القلعة"، و"المسيلة"، و"طبنة"، و"ميلة" وغيرها، وهو الإقليم الذي يتوسط المغربين الأدنى والأقصى[(5)].

---

(1) الداعي إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ج5، تح: مُحَمَّد اليعلاوي، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م، ص138.

(2) الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974من ص94.

(3) ابن عدارى المراكشي، مصدر سابق، ج1، ص155.

(4) Laoust (H): les schismes dans l'islam, Paris, P143.

(*) الأوتاد: مفرد وتد، وهو العمود الصلب الذي دق في الأرض وغرس فيها، وأوتاد الأرض هي الجبال لقوله تعالى:﴿ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً﴾ [النبأ:6-7]. ينظر: علي بن هادية وآخرون: القاموس الجديد للطلاب، تق: مُحَمَّد المسعدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط7، (1411هـ-1991م)، ص1307.

(*) نسبة إلى مؤسس الدول (عبد الرحمان بن رستم)

(5) عبد الرحمان بن خلدون: مصدر سابق، ص152.

إن ما حققه المنهج التأسيس لـ"أبو عبد الله الشيعي من نجاح لم يكن بسهولة، ويُسر، إذ تطلب منه في بادئ الأمر توحيد عشائر كتامة، ثم جمع شتات القبائل الأخرى ليتسنى له ضرب أعدائه بقوة موحدة، وقد استغرق منه ذلك وقتً طويلاً في تحقيق وحدة كتامة.

وبهذا يكون الداعي قد اتبع نهج "ابن خلدون" ضمن النص القائل «فصل في أن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك»[1].

حيث تعمل قوة القبيلة على إخضاع باقي القبائل، وذلك بواسطة مزج العصبيتين الأشد تعصباً، والأقل تعصباً ضمن عصبية واحدة قوية من أجل تحقيق الملك القاهر، وهو ما وضحه منهج ذكاء الداعي بين عشائر كتامة، حيث قضى مع أنصاره وقتاً طويلاً في تمهيد سلطانه، وتوحيد العصبيات، والعشائر الكتامية المتشتتة ضمن عصبية واحدة متينة وقوية، فقد تحقق له ذلك، ما عدا بعض القبائل التي التزمت مبدأ الحياد كقبيلة تلكاتة "الصنهاجية" – ذات القوة والنفوذ، ثم قضى على كل عقبة تعترض طريقه في التأسيس، من معارضات، وخلافات وغيرها.

نشأ الجيش الفاطمي على يد "أبي عبد الله الشيعي" مع بداية الدعوة في إيكجان [2]، إذ كانت بنيته تتألف في الأساس من جنود بربر كتامة (سواعد الداعي)، حيث نجحوا في القضاء على دويلات المغرب الأوسط، وتوالت انتصاراتهم إلى أن تم لهم فتح إفريقية وتأسيس "المهدية" العاصمة الأولى للفاطميين، مع العلم أن الكتاميون ضلوا العنصر المتفوق عددياً، وقيادياً داخل الجيش الفاطمي[3]، والملحق (4) جاء يفسر أهمية الدور الذي لعبه الفارس الفاطمي، وهو حامل ما يدافع به على نفسه، حيث كان سلاحهم، الرمح المعد للطعن، والسيف، والدرقة [*]، وفرق المشاة التي تقوم

---

[1] ريما درنيقة: الفتح العربي للمغرب والحضارة المغربية، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2012م، ص14.

[2] بوزياني الدراجي: مرجع سابق، ص385- 386.

[3] أحمد ابن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الزمان، ج 1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976م، ص156.

[*] الدرقة: هي درع مستدير، مصنوع من الجلد لحماية الفارس من ضربات العدو، كما كان منهم فرق المشاة التي تقوم بأعمال الحصار والالتحام. انظر: المجهول: دور كتامة والحضارة الفاطمية، ص52، 59.

بأعمال الحصار، والالتحام [1]، وبقوة وعظمة هذا الجيش، قضي على كل عقبة تعترض طريقه من المعارضات، والخلافات وغيرها[2].

إن كتامة التي شكلت قاعدة وعصبية المذهب كانت هي كذلك قاعدة الجيش العريضة، ومصدر أمواله، والجيش الكتامي وقيادته هو من فتح للفاطميين أراضي المشرق فشملت سلطتهم المشرق والمغرب[3].

1)منهجه في مجال ميلة (289هـ/903م): بعدما انضوت قبائل كتامة في دعوته، واشتد أزره بقوتها، قرر الهجوم على ميلة [4]، قبل أن يمدها الأمير الأغلبي بالعدة، والعتاد [5]، وهو ما يجعلنا نتساءل كباحثين جدد عن ما هو منهج هجوم الداعي على ميلة؟، ولماذا تعسكرا فيها بالضبط؟.

وما إن اشتعلت نيران المعارضة على دعوته، لم يجد الداعي بداً سوى السيطرة على الوضع الراهن، باستخدام منهج الاستئصال عن طريق الحيلة، واستغلال العداوة القائمة بين القبيلتين، أما سبب هجومه على ميلة كان بعد فترة من التقصي خلُصت باستعلام الداعي أن جموع المخالفين اتخذوا من ميلة مركزاً لتجمعهم ضده، وهو ما يفسر أن اختياره لميلة تربطه أسباب، فما هي إذن يا ترى؟ ومن بين هذه الأسباب نذكر على سبيل التوضيح ما يلي:

19 -موقع تضاريسها الوعر.

20 -خطورة إستراتيجيتها الصعبة[6].

21 -احتضان حاكم ميلة للجماعة، من حماية، وحصانة.

---

(1) المجهول: مرجع سابق، ص53.

(2) بوزياني الدراجي: نفس المرجع، ص386.

(3) المجهول: نفس المرجع، ص59.

(4) لخضر سيفر: مرجع سابق، ص174.

(5) رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي، تع: مُحَّد بلقراد، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص140.

(6) مُحَّد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص79.

استغل الداعي منهج العداوة القائمة بين "بني سليم"، ورئيسها "موسى بن العباس بن عبد الصمد" وبين "بني ربيعة"، وزعيمها "الحسن بن أحمد" الملقب "بابن الخنزير" (*)،[1] الذي يعود له الفضل في إعطاء تقرير مفصل عن أحوال المنطقة سياسياً، واجتماعياً، ودينياً، واقتصادياً، وحتى ثقافيا[2]، فقام بإضعاف القبائل المحيطة بميلة حتى تمكن من الاستلاء عليها فلوح بالآمان إلى أهلها ولعاملها "موسى بن العباس" الذي استنجد بالأغالبة، لكنه قتل مع بقية المخالفين، قلد "الداعي" ولاية ميلة "لأبي يوسف مكتوم بن دبارة الأجاني" عم "أبو زاكي" من أوائل المعتنقين الإسماعيلية [3]، سنة (289هـ- 902م)، لكن الأمير الأغلبي "عبد الله الثاني" استاء واعتبرها إهانة كبيرة له، فشن هذا الأخير حملة على ميلة، مرفوق بحاميات سطيف، وبلزمة، قبائل "بني عسلوجة" (*)،[4] وكل القبائل المنضوية تحت حمايتها [5]، وبعد معارك طاحنة انتهت بسقوط ميلة على يد الداعي [6]، سنة (289هـ- 290م)، (202م- 903م) [7].

لكن هذا الانتصار أوقع في نفوس الأغالبة شد العزم بشن حرب بقيادة "مُحَمَّد" [*] الملقب بأبي حوال على رأس اثنتا عشر ألف فارس ، وهذا حسب رواية الإفتتاح [8]، فدارت رحى المعارك بين الطرفين في منطقة "ملوسة" [**]، وكان القتال فيها سجالا، وصل إلى حد الأعناق، مني الشيعي فيه

(*) وجه من وجوه أهل ميلة، وهم من عرب بن ربيعة، يعرفون بالسناجرة، وسنجار مدينة من ديار ربيعة. انظر: القاضي النعمان: مصدر سابق، ص86.

(1) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص86.

(2) نفسه، ص87.

(3) رشيد بورويبة وآخرون: مرجع سابق، ص141.

(*) بطن من بطون بني تمتم. انظر: القاضي النعمان: نفس المصدر، ص89.

(4) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص89.

(5) مُحَمَّد سهيل قطوش: مرجع سابق، ص70.

(6) نفسه، ص70.

(7) عادلة علي الحمد: مرجع سابق، ص168.

(*) ابن الأمير الأغلبي عبد الله الثاني. انظر: القاضي النعمان: مصدر سابق، ص90.

(8) نفسه، ص90.

(**) تقع شمال غربي تازورت. انظر: مُحَمَّد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص70.

بهزيمة نكراء، فانصرف يجر أديال الخيبة نحو "إيكجان"، ولكن هذا الانهزام لا نستطيع تفسيره إلا إذا طرحنا سؤالاً على أنفسنا أولاً، في ماذا يكمن سبب فشل منهج الداعي؟ فلربما لسبب جغرافي طبيعي يعود إلى أن الفترة كانت فترة شتاء، وثلج، هذا حسب ما وضحته رواية الإفتتاح، أما سبب رجوعه إلى إيكجان دون غيرها يرجع إلى أن الأغالبة أحرقوها، وحطموا قصر "الداعي"، ثم شدوا الرحال صوب ميلة، فوجدوها أجليت من سكانها [1]. فالغريب أن القائد تردد عن غزو إيكجان، وجاءت هذه الأسباب لتوضح سبب عزوف "أبي الحوال" عن مهاجمة "إيكجان" ! فما هي هذه الأسباب؟، لعل من بينها نذكر:

22 -موقعها الجبلي الصعب.

23 -قساوة الأحوال الجوية التي أعاقت مواصلة الجهاد.

24 -المشاكل الداخلية التي تعرض لها الأمير الأغلبي، صدعت قوات جيشه، تمثلت في وفاة "إبراهيم الثاني"، وخلفه "زيادة الله الثالث الحكم.

25 -هشاشة الجيش، وانعدام الخبرة العسكرية بشؤون القتال. إن عودة "أبي حوال" كانت فرصة ثمينة استغلها الداعي لاستعادة "ميلة"، وبعدما ضمها لأملاك الفاطميين التفت نحو حصن "سطيف"، وهي إحدى مضارب "مستالة" [2]، واتضح من رسالة النعمان أن تزايد خطر الداعي ألزم الأمير الأغلبي "عبد الله الثاني" لمواجهته بقيادة "أبي الحوال"، فاشتدت الحرب بينهما، حيث نزل "أبي الحوال" بموضع "ملوسة"، بينما الشيعي تمركز بمنطقة "تاسدست" من بلد لهيصة [3]، واختتمت بتراجع بتراجع "أبي الحوال" ونصر "الشيعي"، ويمكننا في هذا الصدد أن نتساءل عن أسباب تراجع "أبي الحوال" من قلب المعركة؟ كان انهزامه، أو بالأصح تراجعه للأوضاع السياسية التي تمر بها "إفريقية"

---

[1] نفسه، ص90.

[2] موسى لقبال: ملحمة الإيكجاني، مرجع سابق، ص52.

[3] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص93.

كمقتل الأمير "عبد الله الثاني"[1]، وتسلم الأمير "زيادة الله الثالث" الحكم، ولعل المكتوب الذي جاءه من أخيه الأمير، يأمره بالعودة، خير دليل على تراجعه[2].

2) منهجه في مجال سطيف: (291هـ– 903م):

وبعد مضي عام من الانتصار، استعاد الداعي قوة جيشه، وأعد العدة للإعلان على سطيف، وهو ما يفسر ذكاء منهج الداعي في استغلال ظروف انشغال "زيادة الله الثاني" في توطيد سلطانه، وما تميز به من سلوكات سيئة كشرب الخمر، والانغماس في اللهو، والملذات، كان حاكم "سطيف" يدعى "ابن عسلوجة"[*] مع أخوه أعداء لداعي، فشاركوا "أبي الحوال" على الحرب ضده، لقد اتضح لنا من خلال هذه الحرب أن لإبن عسلوجة خبرة عسكرية، وقوة يهابها الجميع، لقول الداعي عنه في ساحة الحرب «وإذا بطشتم بطشتم جبارين» [3]، مع العلم أن ابن عسلوجة قتل أزيد من واحد وثلاثون فارس شيعي، وادمت الحرب مدة أربعينو إن تراجع "الداعي" إلى إيكجان" لا خير دليل على قوته الحربية، لكن الداعي لم يهدأ له بال حتى دارت حرب بينه وبين "ابن عسلوجة"، انتهت بمقتل "ابن عسلوجة" وأخوه[4]، فسقطت سطيف أواخر سنة (291هـ-903م) [5]، في عصمة الداعي، فلوح بالأمان "لداود بن حباسة لهصي"، وهو ما يفسر لنا أن سطيف تعتبر أقرب مدينة محصنة من إيكجان بعد ميلة، وتعد غير آمنة من الناحية العسكرية [6]، وهو ما يثير اهتمامنا في هذا المضمار، كيف كان رد الأغالبة اتجاه هذا النصر؟، إن سقوط سطيف حرك في نفس الأمير روح العزم، والانتقام، فشن هجوماً بأربعين ألف فارس، قاده "إبراهيم بن حبشية الذي رد على أعقابه، وهزم

---

(1) ابن عدارى المراكشي: مصدر سابق، ص90.

(2) مُحَمَّد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص71.

(*) نسبة إلى إمه: انظر القاضي النعمان، مصدر سابق، ص102، وعسلوجة مشتقة من عسلوج، وهو جدع الشجر. انظر: عادلة علي الحمد، مرجع سابق، ص172.

(3) الشعراء: الآية 130.

(4) القاضي النعمان: مصدر سابق، ص103.

(5) عادلة علي الحمد: مرجع سابق، ص172.

(6) مُحَمَّد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص72.

هزيمة مشينة على يد الكتاميين في "كينونة" التي أفقدته هيبته [1]، لكن الداعي كان على فطنة من أمره، فاستغل هزيمة الأغالبة، وفرصة انتصاره للاستلاء على "طبنة"[2].

3)منهجه في مجال طبنة (293هـ- 905م): استخدم فيها منهج تضييق الخناق.

حاصر الداعي طبنة [*] قاعدة الزاب لاهميتها الاقتصادية من مختلف الجهات، وكان عاملها آنذاك "حسن بن أحمد بن نافد" المدعو "بأبي المقارع" [3]، بجيش كبير لا يعد ولا يحصى، وبأجود الخيول، وأقوى الفرسان، لكن أهلها لم يتوانوا في الدفاع عنها، وعلى رأسهم نذكر "شيب بن أبي شداد" المعروف "بشيب الصغير" صاحب العسكر، لكن دفاع أهلها جاء متأخراً نوعاً ما، لأن الداعي قد وطأت أقدامه فيها، فلوح بالآمان "لأبي المقارغ" وجماعته لما اتسم به هذا الرجل من بلاغة، وقلده إمارة طنبة [4]، سنة (293هـ- 905م)، ففتح بلزمة من نفس السنة (293هـ- 905م)، أحرق أهلها بمشاعل موقدة [5]، وأعدم سكانها إلا النساء والأطفال، وجاء هذا ليبين أن منهج الداعي فيه نوع من الرأفة اتجاه العنصر الضعيف، ولو قارناه بالمنهج المحمدي لوجدناه أنه يتفق معه في هذه النقطة، ويختلف معه في أعمال التخريب، فهو منهج هدام، أما المنهج المحمدي فهو بناء، وعقب إفتتاح بلزمة أسقط "دار ملول"[*] إثر اشتباك دامي بينه وبين القائد "هارون الطبني"[6]، الطبني"[6]، بجيش تعداده اثنا عشر ألف فارس، انتهت هي الأخرى بانتصار الداعي، وسرعان ما

---

[1] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص104- 105.

[2] عادلة علي الحمد: مرجع سابق، ص173.

[*] بلد في طرف إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب. انظر: البكري: مصدر سابق، ص135.

[3] ابن عدارى المراكشي: مصدر سابق، ص141.

[4] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص106.

[5] رشيد بوروبية وآخرون: مرجع سابق، ص143.

[*]هي بلدة صغيرة تقع على بعد مرحلة من طبنة، وتضم حصنا يحمي المنطقة. انظر: موسى لقبال: دور كتامة في الخلافة الفاطمية، مرجع سابق، ص373.

[6] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص111.

انفجرت وراءها معركة ناجحة لصالح الداعي للاستلاء على "تيجس"[*]، مع العلم أن سكانها تشيعوا أيام ممهد الأرض (الحلواني) [1]، وخلصت المعركة بانهزام الأغالبة [2]، لكنهم لم يتوانوا عن فعل ذلك، حتى أقر "زيادة الله الثالث" مهاجمة الداعي بنفسه، بتجهيز جيش قوي العتاد، من "تيفاش" إلى "الأربس" مباشرة سنة 295هـ/907م، ومما يلاحظ أن الأمير تراجع عن ترأس الجيش، وعاد إلى "رقادة" يترقب الوضع عن كثب [3]، وقلد ابن عمه "إبراهيم بن الأغلب" رئاسة الجيش، والدفاع عن إفريقية، إلا أن بغاية[**]،[4] سرعان ما سقطت ثم لحقتها "مجانة" [***] عام (296هـ/908م)، وهو ما يُفسر أن للداعي أسلوب منهجي قتالي محكم[5].

4) منهجه في مجال تاهرت الرستمية (297هـ– 910م):

إن كل الحروب والانتصارات التي حققها الداعي [6]، في مسيرة نضاله المنهجي ما كان الهدف الهدف منها سوى تقديم هذا المجهود الخالص للإمام المهدي المنتظر [7]، المسجون عند "اليسع بني مدرار" بسجلماسة"[8]، وهنا يكمن التساؤل عن ما علاقة القضاء على الرستميين في تحرير المهدي؟، المهدي؟، إن ما فكر فيه الداعي قبل وصوله لسجلماسة هو تتويج أعماله بحدث رائع وعظيم لآل

---

[*]هي مدينة شامخة البناء، ومنها إلى مدينة توبوت على بلاد كتامة، سمي هذا الطريق بالجناح الأخضر. انظر: البكري: مصدر سابق، ص138.

[1] عادلة الحمد: مرجع سابق، ص174.

[2] ابن الأثير: مصدر سابق، ج8، ص42.

[3] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص129.

[**]بغاية: هي حصن صخر قديم حوله ربض كبير من ثلاث نواح، وسكانها كلهم إباضية، وهي في أقصى إفريقية بين مجانة وقسنطينة، راج: البكري: مصدر سابق، ص222– 223.

[4] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص130.

[***]تعرف بمجانة المعادن وهي مدينة كبيرة، فتحها بسر بن ارطأة عنوة، أرسله إليها "موسى بن نصير"، راج: البكري: مصدر سابق، ص223.

[5] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص131.

[6] موسى لقبال: ملحمة الإيكجاني، مرجع سابق، ص73.

[7] رابح بونار: مرجع سابق، ص176.

[8] أحمد مختار العبادي: مرجع سابق، ص179.

البيت، ألا وهو ضم أملاك الرستميين إلى نظامه الجديد في "رقادة" [1]، وما كان هذا العمل سوى النقطة التي أفاضت الكأس، وإلحاح رؤساء الوجوه من مختلف الطوائف [2]، الداعي لفك أزمة الخناق القائمة في الأسرة الرستمية الموشكة على السقوط والزوال [3]، سببها المؤمرات السرية داخل البلاط الرسمي، دبرتها الأميرة "دوسر" بنت أبي حاتم" فقلبت القبائل على "أبي اليقضان" وأطاحت بحكمه، ما جعل "دوسر" تستنجد "بالداعي" [4]، لأنها توسمت فيه خيراً للثائر لأبيها الذي أُغتيل سنة 294هـ[5]، فما هو إذاً سبب لجوء "دوسر" لداعي؟، ربما لشياع انتصاراته، وسيطرته على جزء كبير من أرض المغرب !. فقبل الداعي عرضها، فتوجه صوب "تاهرت"، فقتل "اليقضان"، واستولى على العاصمة سنة (297هـ-910م)، ونهب أموالها[6]، بعد مدبحة قدرتها بعض المصادر بـ"ثمانية آلاف قتيل"[7]،

ولعل سبب انهيارها[8] يعود إلى تفكك الأسرة المالكة [9]، وصارت "تاهرت" من أملاك الفاطميين وفقدت صفتها كعاصمة سياسية لدولة مستقلة، حيث فر أهلها إلى مناطق عديدة "كسدراتة" القريبة من ورجلان، ووادي ميزاب[10]، وغيرها.

ويمكننا تقييم ما سبق، أن الحروب التي خاضها الداعي والاضطرابات الداخلية التي حدثت في مجالات المغرب الأوسط خلقت سنوات عكرة من المجاعات، والأمراض أهلكت الكثير من السكان،

---

(1) فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص95.

(2) موسى لقبال: مرجع سابق، ص73.

(3) لخضر سيفر: مرجع سابق، ص98.

(4) يحي أبو زكريا: سير الأئمة الرستميين وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984م، ص169.

(5) محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج 3،/ ط 1، طباعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، (1963م-1974م)،ص562- 568.

(6) لخضر سيفر: مرجع سابق، ص73.

(7) ابن عدارى: مصدر سابق، ص162.

(8) سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، طبعة القاهرة، (1324هـ)، ص44-45.

(9) عبد الكريم يوسف جودت: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984من ص66-67.

(10) لخضر سيفر: مرجع سابق، ص74.

وقد علق عليها بعض المؤرخين، فقال: «حتى أنهم كانوا يعجزون معها عن دفن موتاهم» [1]، وما كان كان انتصار الداعي إلا بقوة وعظمة الجيش الكتامي.

المبحث الثالث: انتصار فكرة التشيع من خلال كتاب إفتتاح الدعوة للقاضي النعمان.

تناولت دراسة كتاب النعمان بإسهاب موجز لأن الموضوع لا يتطلب مني دراسة الكتاب بأسلوب معمق، وتطرقت إليه فقط لأعالج انتصار فكرة التشيع، من خلال الكتاب الذي يعد مصدراً هاماً من المصادر الأصلية لميراث الدولة الفاطمية بمراحلتيها المغاربية والمصرية، إذ تناولته بطريقة جديدة تختلف عن سابقيها، ومن خلال هذا سأتناول دراسة الكتاب من حيث:

1) دراسة ظاهرية للكتاب:

1-1) تعريف المؤلف من حيث (النسب، والمولد، والنشأة، والوفاة): القاضي النعمان هو أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله مُحَمَّد بن منصور، بن حيون التميمي، من أهل القيروان، وهو مغربي الأصل[2]، من مواليد سنة (259هـ/873م) [3]، أي أواخر القرن الثالث هجري، لقبته المصادر الإسماعيلية "بالقاضي النعمان"، وذلك خشية الوقوع في الخلط بينه وبين "الإمام" أبي حنيفة النعمان بن ثابت"، مؤسس المدرسة الفقهية الحنفية [4]، الشيعي الإسماعيلي سنة (333هـ)، وأصبح ركن من أعمدة فقهاء، وكبار الدعوة الفاطمية، كان عالماً، ومشبعاً بالفقه، والآداب، والتاريخ، إلى أن وافته المنية سنة (363هـ/974م) [5]، وهو يشغل قاضي قضاة مصرآنذاك، وبهذا يكون قد عمر المؤلف أكثر من قرن، وانتهى من تدوينه سنة (346هـ/957م) [6].

---

[1] ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ج 3، تح فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص89.

[2] مصطفى غالب: مرجع سابق، ص226.

[3] الزركلي: مصدر سابق، ص42.

[4] مُحَمَّد فاروق النبهان: مرجع سابق، ص226.

[5] القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، تح: الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، ومُحَمَّد اليعلاوي، المطبعة التونسية،1978م، ص07.

[6] مُحَمَّد الناصر الصديقي: "عصور" منشورات مخبر البحث التاريخي، (مصادر وتراجم)، العدد 20، جانفي، جوان، 2013م، ص134.

2-1) التحقيق: تحصلت في فترة البحث على ثلاث نسخ من رسالة القاضي النعمان، نسخة من النسخة الأصلية لم تعرض على محقق، ونسختين، نسخة حققتها المؤرخة وداد قاضي، ونسخة ثالثة قام بتحقيقها الأستاذ فرحات الدشراوي.

وأنا بدوري كباحثة متواضعة اخترت النسخة التي حققها وداد قاضي، وهذا رغبة في التعرف عنها من حيث كتاباتها، وأسلوبها.

وداد قاضي خريجة قسم الأدب العربي من الجامعة الأمريكية –بيروت– في عام 1965م، من مواليد بيروت – لبنان– (1362هـ- 1943م)، تحصلت البروفيسورة على درجة الماجستير، والدكتوراه في الأدب العربي، والدراسات الإسلامية من نفس الجامعة، تحت إشراف البروفيسور العلامة "إحسان عباس"، شغلت منصب التدريس في جامعة بيروت، ثم أمريكا بجامعة "هرفورد"، وجامعة كولومبيا "ويل"، وأصبحت منذ سنة 1988م مدرسة للفكر الإسلامي في قسم لغات الشرق الأدنى بجامعة "شكاقو"، كما شغلت منصب عضو في جمعيات عالمية عديدة من مجال تخصصها، كما أنها عضو في هيئات تحرير العديد من الإصدارات، التي تعنى بالدراسات، والبحوث العربية الإسلامية منها "مجلة الدراسات الإسلامية"، "مجلة البحث"، "مجلة آربيكا"، ونائبة تحرير لسلسلة التاريخ، والحضارة الإسلامية، حازت على جائزة "عبد الحميد شومان" للعلماء العرب للشباب للدراسات العربية في المملكة العربية الأردنية الهاشمية، وتميزت جهودها التأليفية على أنها باحثة، و"محققة"، و"منتقدة"[1].

1) مواصفات الكتاب:

الكتاب لمؤلفه القاضي النعمان، عبارة عن رسالة إفتتاح الدعوة [2]، مكتوبة بخط أقل سمكاً ثم يأتي تحت العنوان، مكتوب بين قوسين (رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية) بخط رقيق أقل، لون الكتاب أصفر فاتح يميل إلى (karem)، في أسفل العنوان كتب اسم ولقب المحقق، وأسفله دار الطبع (دار الثقافة بيروت)، في الصفحة الأولى بعد الغلاف بيضاء فارغة، ثم تليها الصفحة الثانية

---

[1] موقع إلكتروني: kfiporg/ar/profcssor-wadad-ofif-kadi/ تاريخ الإطلاع 2016/5/11، الساعة:8:00

[2] القاضي النعمان: غفتتاح الدعوة، تح: وداد قاضي، دار الثقافة للنشر– بيروت– لبنان، ط1، 1970م.

مكتوب رسالة إفتتاح الدعوة بخط رقيق، ثم تأتي صفحة مقدمة المحقق تحتوي على سبعة وعشرون ورقة، ثم يأتي تاريخ الإفتتاح من صفحة 131 إلى غاية صفحة 310، وينتهي الكتاب. الفهرس يبدأ من صفحة 308 إلى غاية 310، ثم غلاف طوى الكتاب مكتوبة بالإنجليزية رسالة إفتتاح الدعوة، ثم نفس الترتيب في الترجمة كما ذكرناه سابقاً.

26 -أما عرض الكتاب: 17 سم.

27 -طول الكتاب: 24 سم.

28 -سمك الكتاب: 2سم، أما عن وزن الكتاب: 1كلغ و200غرام.

1) شيوخه، وتلامذته:

إن المصادر، والمراجع التي بحثنا عنها لم تزودنا بمعلومات تخص تلاميذة القاضي وشيوخه، ولكن حسب الطالب "بن الصديق سليمان" في رسالة تخرجه يقول، وأنه بالأكيد أن أول أستاذ له هو والده[1].

2)مؤلفاته:

لم يقتصر نشاط القاضي النعمان الفكري على طابع واحد، بل ألف في مختلف فروع، وطبوع المعرفة التي أغنت المكتبة الإسلامية عامة، والإسماعيلية خاصة من الفقه، والعقيدة، والتأويل والتاريخ، الدعوة[2]، فألف لآل البيت ما يقارب ألف [3]، وقد أشار بعض المؤرخين أن مؤلفات القاضي النعمان تقارب (72 كتاب)، لكن (20 منها فقد)، ولعل من مؤلفاته نذكر ما يلي:

29 -"كتاب شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار"، و"كتاب دعائم الإسلام"[4].

30 -"كتاب المجالس والمسيايرات"، و"معالم المهدي"، و"تأويل الشريعة"، و"إفتتاح الدعوة".

---

(1) سليمان بن الصديق: أثر الحركات المذهبية في الكتابات التاريخية ببلاد المغرب في القرنين (3و4هـ- 9و10م)، دراسة نماذج، إشراف الأستاذ الدكتور: بحاز إبراهيم، غرداية، 2014-2015م، ص122.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977م، ص416.

(3) مصطفى غالب: مرجع سابق، ص593.

(4) فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص06.

31 -"كتاب الرؤية"[1].

2) الدراسات الباطنية للكتاب:

2-1) موضوع الكتاب، ومضمونه:

الكتاب عبارة عن رسالة إفتتاح الدعوة، وعنوانه يدل على تأثيره، وإخلاصه، ونصرته للمذهب الإسماعيلي، قام بتأليفه سنة (346هـ- 957م)، وأحاط الكتاب بكل جوانب الموضوع، جاء منظم، ومرتب زمنياً من "أبو عبد الله الشيعي" إلى غاية انحطاط وسقوط الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي، إذ يعتبر الكتاب من المصادر الأصلية البارزة، والمتتبعة لأمر الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب منذ بداياتها التي تبلورت ببلاد اليمن على يد الداعية "أبو القاسم" إلى غاية قيام صراع الدولة بالمغرب، أين تحولت الدعوة السرية بعد أن استقرت، ووجدت لها أتباع إلى دولة سنة 296هـ[2].

أما مضمون الكتاب فقسمه المؤلف إلى مقدمة، ومتن، وخاتمة، ففي المقدمة أحاط المؤلف بجوانب موضوع الرسالة، أما متن الكتاب فجاء على شكل عناوين، فقسمه بدوري إلى أربعة أقسام، حسب اجتهادي، لأن المحققة لم تقسم الكتاب.

فالقسم الأول من كتاب إفتتاح الدعوة، يتعلق بظهورها ببلاد اليمن "عدن" لاعة مع الحسن بن فرج إبن حوشب، وإبن الفضل، ثم ينتقل إلى دور المبعوثين الدعاة "أبي سفيان، والحلواني"، ودورهم في نشر فكر التشيع في بلاد المغرب البكر.

القسم الثاني من الكتاب: يتطرق إلى دور الداعية "أبي عبد الله الشيعي" الداهية الذي استطاع أن يجد له مكان بين أعيان قبيلة كتامة المغربية، وظروف ظهور أمره هناك بحشد القبائل، وتعبئتها، وقيامه بفتح، وغزو مدن المنطقة الواحدة تلوى الأخرى.

---

(1) مُحَمَّد الناصر الصديقي: مرجع سابق، ص136.

(2) فرحات الدشراوي: مرجع سابق، ص06.

القسم الثالث: فيتعلق بخروج، وتمرد قبائل، وبطون كتامة بقيادة الداعية "أبي عبد الله الشيعي" على الدولة، أو إمارة الأغالبة بالقيروان، وما وقع من صراعات عسكرية، انتهت بزوال وسقوط الدولة الأغلبية 286هـ.

القسم الرابع: يتناول فيه القاضي النعمان بداية إرساء، وتمكين الدولة الفاطمية بداية من سنة 296هـ السنة التي أسقطت فيه السلطة الأغلبية بالقيروان والرستمية بتهرت جنوباً.

تناول مضمون الكتاب من خلال تجزئة أقسامه، وتفصيلها بما يلي:

1) ارتباط ظهور الدعوة باليمن مع "ابن حوشب"، و"علي بن الفضل اليماني"، ثم مع "الحلواني"، و"أبي سفيان"، ثم مع الداعية "أبي عبد الله الشيعي".
2) استقرار الداعي ببلاد كتامة، وظهور أمره فيها.
3) تمرد كتامة على الأغالبة، وأهم صراعات الداعي العسكرية.
4) بداية تأسيس الخلافة الفاطمية منذ سنة 296هـ إلى سنة الانتهاء من تأليف الرسالة 346هـ، وتعود أهمية مضمون الكتاب إلى أن النعمان يعد من أوائل المصادر التي تناولت بدء الدعوة الفاطمية في مهدها الأول ببلاد المغرب، فكانت مصنفاته أهم رافد فكري لفاطمي بلاد المغرب في مرحلة التأسيس[1].

إن فكرة انتصار التشيع التي حققها "النعمان" من خلال مصنفه، مرتبطة بنجاح الحركة الإسماعيلية، ونصرة التشيع ظهرت مع دعوة "أبي عبد الله الشيعي" انطلاقاً من موسم الحج إلى غاية نزوله كتامة، وعند فج الأخبار، وما هي تلك اللقاءات، والاكرامات الضيافية لداعي تُفسر بداية انتصار الإسماعيلي الذي حمل عبء لوائه بمنهج تأسيسي، وجاءت أغلب صفحات النعمان تناصر فكرة التشيع، وتميل لها، هذا على الرغم أنه كان على المذهب السني لكنه لم يناصر هذا المذهب كما ناصر الشيعة الإسماعيلية، في أفكارها، ومعتقداتها، لأن النعمان أمن بأصول وعقائد المذهب الباطني الذي:

[1] مُحَمَّد الناصر الصديقي: مرجع سابق، ص145.

- ينكر وجود الله.
- يجحد أسماءه وصفاته.
- يقوم بتحريف وتزوير شرائع النبين والمرسلين.
- ينقلون صورة التشيع لآل البيت[1].

وكان النعمان مناصراً لفكرة الداعي شكلاً ومضموناً، وعزم على نصرة التشيع لآل البيت، وصل به إلى حد امتشاق السيف من أجل تحقيق حلم هذا النصر في تأسيس دولة قوية لآل البيت، لكن هذا الحلم لم يتحقق إلا بجهود سواعد الكتاميين الذين احتضنوا فكرة انتصار التشيع، ومكنوا القبائل من الانضواء تحت رايتها، ومن خلال هذا يمكنني القول، لولا نجاح منهج التأسيس مرحلة بعد مرحلة لما كان لهذا الانتصار فكر للتشيع، والدارس للنعمان يمكنه أن يلاحظ أنه جاء مناصر للدعوة والدعاة، وبأخص انحيازه لأفكار الداعي، وإن هذه الفكرة جعلت النعمان يؤلف رسالته، وعلى الرغم من ظهور بعض المعارضات والخلافات إلا أن الفكرة أخذت طريقها إلى النجاح ومدت جذورها إلى خارج البلاد.

3)القيمة التاريخية للكتاب:

3-1) من حيث المنهج المعتمد: اعتمد النعمان على المنهج الاستقرائي الذي زاد من قيمة الكتاب التاريخية لأنه شكل بواسطته نهج قويم، استطاع بواسطته أن يجمع فيه بين فلسفة التوفيق، وعدم إثارة الحساسيات المذهبية، والدغائن المتدافنة[2].

إن ما يميز النعمان في منهجه هو إدراكه الخاص في مخاطبة العقول، إذ يعتبر أب المدرسة الإسماعيلية في بدايات دور الظهور "الفاطمي"، وانفراده عن باقي المؤلفين، والمؤرخين بمنهج الطابع الفلسفي الاستقرائي، ومن بين المؤلفات التي جاءت على هذا الطابع "كتاب اختلاف أصول المذاهب"، فقد أوجد علة الاختلاف مع الحجة وإعطاء الدلائل[3].

---

(1) أبو حامد العزالي: فضائح الباطنية، ص20.

(2) مُحَمَّد فاروق النبهان: مرجع سابق، ص135.

(3) مُحَمَّد ناصر الصديقي: مرجع سابق، ص147.

3-2) قيمة الكتاب بالنسبة للكتب أخرى: تكمن قيمة الرسالة في اقتصارها على تاريخ الدعوة وحدها دون سائر الأحداث التاريخية الأخرى، سواء في منطقة بلاد المغرب، أو في العالم الإسلامي، بينما نجد المتناولين لتاريخ الدعوة الفاطمية تتميز معظم كتاباتهم بالتبعثر أمثال "المراكشي" في بيانه، و"ابن خلدون" في عبره، و"الدوادري" في درته المضيئة، و"المقريزي" في إتعاظه، إلا أن هؤلاء لم يفلحوا في نقل صورة واضحة عن بدايات الدعوة الفاطمية، وأهم التطورات سرداً، ونقلاً، ومضموناً [1]، على الرغم من أن النعمان توخى منحى تاريخياً إخبارياً في رسالته الهامة إلا أنه لم يشر إلى تفاصيل المصادر التي اعتمد عليها، وإن أشار في ببعض الأحيان إلى أسماء المؤلفين.

المبحث الثاني: العوامل المساعدة على قيام الفاطميين بالمغرب الأوسط:

قبل أن نشير للعوامل المساعدة على قيام الفاطميين بالمغرب الأوسط، لا بد لنا من توضيح العوامل المساعدة على قيام الدعوة والدولة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي.

انطلاقا من نظرية ابن خلدون فصل «في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم» [2]، فالدعوة الدينية تبنت المذهب الشيعي، وتحملت أعباء قيام الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي، لأن نشأتها تحققت على أسس مذهبية، ودعوة دينية نجحت بنفوذ أوسع، وسلطان عريض، وملك عظيم، وقوة هذه العصبية تسمح للمنهج بتنفيذ كل عمل سياسي وعسكري، نجحت من وراءه الدولة الفاطمية[3]، ولعل من بين هذه العوامل نذكر ما يلي:

- إرسال دعاة مبعوثين مبشرين بالدعوة لآل البيت من المشرق، إلى بلاد المغرب في وقت مبكر.
- مقدرة الداعي والمبعوث الثاني "أبي عبد الله الشيعي" ذو الصفات القيادية البارزة على استمالة القبائل الكتامية، بدخوله إيكجان سنة 280هـ[4].

---

[1] نفسه، ص146.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، ص170.

[3] بوزياني الدراجاي: مرجع سابق، ص388.

[4] القاضي النعمان: مصدر سابق، ص23.

- بداية دعوته بإظهار فضائل آل البيت على بن أبي طالب – ﷺ-، وأبناؤه الحسن والحسين – رضي الله عنهما- لما لهم من مكانة في قلوب المسلمين، وفضل قربهم من الرسول – ﷺ-.
- الاعتماد على الخطاب الدعوي القائم على الجانب العاطفي الذي يجيش المشاعر، ويذكر بالمحن التي تعرض لها آل البيت على يد الدولة الأموية، والعباسية ومحاولة الانتصار لهم[1].
- جدية الدعوة، وثوريتها في وسط من القبائل، يغلب عليها طابع التمرد، والخروج على السلطة الرستمية المتمثلة في سلطة الأغالبة، قبائل كتامة يغلب عليها السداجة، والسطحية، والبساطة في التفكير، تعيش على مبدأ الغلبة، والقوة والسلب.
- قدرة الداعية على حشد جموع القبائل، والخوض معهم بمعارك وحروب ضد السلطة الرسمية التي انتصر عليها، فاستولى على العديد من المناطق، كطبنة و"باغاية" و"سطيف"، و"ميلة"، و"قفصة"، وأخيراً "القيروان"، بالقضاء على سلطة الأغالبة[2]، والدولة الرستمية سنة 296هـ.
- ارتكاب العبيديين الجرائم في حق أتباع المذهب السني، وتكفير الصحابة – ﷺ.
- إزالة أثار المذهب السني، بإتلاف جميع المخطوطات والمصنفات الخاصة بالمذاهب السنية ومنه الناس من تداولها[3].

إذن قامت الدولة الفاطمية بدعوة في بلاد المغرب الإسلامي باعتماد المرحلية والتدرج للوصول للحكم، والسلطة، ثم قامت بفرض سلطتها، وأفكارها فيما بعد بالاعتماد على القوة، والقهر، والاستبداد السياسي والثقافي.

إن قيام الفاطميين بالمغرب الإسلامي عامة، وبالمغرب الأوسط على الخصوص، لم يكن بمحض الصدفة، ولا بالأمر الهين، والصعب، وإنما وجدت فيه الأرض الخصبة الممهدة لنشر معتقداتها، وأفكارها، وغرس مبتغاها فيه دون كلل أو ملل، وقد تحكمت في قيامهم بالمغرب عدة عوامل، فما هي إذن العوامل التي ساعدت على قيام الفاطميين بالمغرب الأوسط، ولعل من أهمها نذكر ما يلي:

---

(1) موسى لقبال: المغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص151.

(2) مُحَمَّد سهيل طقوش: مرجع سابق، ص83.

(3) نفسه، ص81.

1)عوامل دينية مذهبية:

1 1) كون القبائل البربرية حديثة العهد بالإسلام، كقبيلتي البتر، والبرانس[1].

1 2) تقبل سكان المغرب الأوسط للأفكار المذهبية الجديدة [2]، لأنها أكثر المذاهب ملائمة وانسجاماً مع طبيعة تكوينهم الوجداني.

1 3) ميل عقول المغاربة للبساطة، لأن المذهب جاءهم بأفكار، ومعتقدات بسيطة.

1 4) طابع الزهد، والعبادة الذي تميز به دعاة المذهب الإسماعيلي، كملازمتهم للبس الخشن من الثياب، واتخاذهم أربطة خلوية لهم، كرباط إيكجان، وغيرها[3].

2)عوامل سياسية وعسكرية:

2 2) الأوضاع السياسية المتقلبة، والاضطهاد الذي تعرض له المذهب الإسماعيلي في المشرق من قبل الخلافة الأموية، والعباسية.

2 3) قساوة الحكام الشديدة اتجاه البربر، ومعاملتهم معاملة الأوباش، لما لاحظوه من تحيز ولاة بني أمية للعرب، مما أدى إلى انخفاض مستواهم الاجتماعي والسياسي، فانظموا إلى حركة آل البيت كوسيلة خلاص.

2 4) انشغال الخلفاء العباسيين بمشاكل المشرق[4].

2 5) رغبة البعض في الزعامة.

3) عوامل اقتصادية:

3 1) فرض الجزية على البربر[5].

3 2) إدماج البربر في مختلف النشاطات الاقتصادية، مع تضييق الخناق عليهم.

---

(1) مُحَمَّد حسن العيدروس: مرجع سابق، ص1223.

(2) مُحَمَّد سلام: مناهج الاجتهاد، المطبوعات الجامعية، الكويت، ص373.

(3) مُحَمَّد حسن العيدروس: نفس المرجع، ص124.

(4) موسى لقبال: المغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص ص148- 149.

(5) نفسه، ص149.

4)عوامل جغرافية:

4 1) البعد الجغرافي عن مركز الخلافة ببغداد.

4 2) الطبيعة الجغرافية الوعرة للبربر[1].

إن كل هذه الأسباب والعوامل ساعدت على تفاقم النفوذ الفاطمي في المغرب الأوسط.

مما تقدم يمكنني القول:

أن أثر الصراعات العسكرية التي تبناها الداعي مع سلطة الأغالبة في المغرب الأوسط كان لها أثر إيجابي على المنهج التأسيس للدولة الفاطمية، وساعد على جمع شتات الفاطميين المتناثرة بين هنا وهناك، مع إقامة دولة قوية ترامت أطرافها في ربوع إفريقية.

[1] مُحَمَّد حسن العيدروس: مرجع سابق، ص125.

الخاتمة

الخاتمة:

قبل استعراض أهم النتائج، التي تمخضت عنها الدراسة، لا بد من التذكير بالهاجس الكبير الذي ظل يراودني طوال فترة البحث، والمتمثل أساساً في قلة المصادر والمراجع التي تناولت موضوع منهج الداعي في تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب الأوسط، وندرة الدراسات التي تتعلق بهذه الفترة الحاسمة من التاريخ الإسلامي، بل أوجد منها كان بصفة غير مباشرة، وجاء بعناوين مختلفة، هذا لأن الموضوع جديد، واندرج ضمن المواضيع الغير مدروسة من قبل الباحثين، ورغم كل هذه الصعوبات، والعقبات التي اعترضتني، لم يكن سبيلي إلا محاولة الدراسة، والقراءة، والتعمق في تناول المادة الخبرية التي أسعفت بجمعها من تنايا المصادر، والمراجع، ضف لذلك إزعاجي المتواصل للأساتذة بكثرة التساؤل،ومهما يكن من أمر، وبعد إطلاعنا على ما تيسر من مصادر ومراجع التي تناولت بالدراسة مواضيع مناهج الدعاة الإسماعليين في بلاد المغرب الإسلامي عموماً، والمغرب الأوسط خصوصاً، ساهمت كثيراً أو قليلاً في إظهار شخصية الداعي، ودفعته للمشاركة بمنهجه في تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب الأوسط بسواعد الكتاميين، فكان تأثيره ظاهر، ودوره في قياس توثر الأوضاع بارزاً بما يشهده المغرب الأوسط من تدافع بين القوى السياسية، والمذهبية، والفكرية، وفي خاتمة هذه الجملة الموجزة أر أني ملزمة بسياق بعض النتائج التي أراها هامة لبيان منهج الداعي في تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب الأوسط في الفترة الوسيطة، لعل من أبرزها:

32 -إذ كان الموقع الجغرافي الخاص بالمغرب الإسلامي الأثر البالغ في تسرب النزعة الخارجية باعتبارها الأرض الخصبة، والصالحة لزرع معتقداتها، وأفكارها، وأنه لم يكن من محض الصدفة، والمفارقة أن يختار دعاتها الفاطميون هذه البقعة البعيدة جغرافيا عن المشرق لنشر أفكارهم المتمثلة في المذهب الإسماعيلي، بل أن التحضير لهذا المشروع، ابتدأ مع حجيج كتامة في مكة المكرمة، وجهزت لإنجاحه الأموال، والرجال.

33 -استغرقت فترة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الإسلامي مدة زمنية طويلة تخللتها تغيرات، وتقلبات ساهمت بشكل كبير في إظهار منهج الداعي التي صنعت أحداثه في المغرب الأوسط، وإفريقية.

34 -إن تقهقر أوضاع الأغالبة جلب أطماع الفاطميين في وراثة عرش الدولة، وكان استغلالهم للظروف السياسية الدينية، والاجتماعية، الاقتصادية، وحتى الثقافية الفكرية، والحضارية، العمرانية خطوة فعالة وناجحة من منهج الداعي في تأسيس دولة المهدي المنتظر.

35 -إن اختيار قبيلة كتامة دون سواها لاحتضان الأفكار الإسماعيلية، لا يمكن تفسيره إلا بوجود فترة ركود سياسي وحضاري كانت تمر به هذه القبيلة، وقد استغل الداعي وضعها هذا، لتفعيل طاقاتها الخاملة، خدمة لأغراضه.

36 -إن الداعي نجح إلى حد بعيد في توطيد منهجه ببلاد المغرب الإسلامي عن طريق خلق تكتلات سياسية في إطار القبيلة، والتي تحميها المصالح المشتركة مادية كانت أم معنويةّ، وإن الحديث عن منهج هيكلة فكرة التشيع الذي حقق فيه الداعي عدالة اجتماعية من نتائج التغيير الإصلاحي الذي سنه وسط المجتمع الكتامي، تساوى فيها جميع الفئات الاجتماعية، والأطياف السياسية، تصبح مسألة جزئية، ألا وهي بالأحرى مصالح قبلية على حساب أخرى، تطبيقاً للنظرية السياسية "فرق تسد".

37 -إن معارضة بعض المجابهين للدعوة الإسماعيلية كان لها أثر عميق في حياة المجتمع الكتامي، لكنها ظلت في نظر المعارضين لمنهج الداعي مفاهيم ذات دلالات حقيرة، كما حرص الداعي وأنصاره على محاربة كل رموز المعارضة، سواء تمثلوا في حركات سياسية، أو قادتها زعامات مذهبية مناهضة لسلطتهم.

38 -خلفت صراعات الداعي التأسيسية، والاضطرابات الداخلية التي شهدتها بلاد المغرب الإسلامي من جراء استيلاءه على أغلب المناطق التي كانت خاضعة لنفوذ الأغالبة، فاستولى على سلطة الرستميين، وأسقط عاصمتها "تاهرت" حتى تمكن "أبو عبد الله الشيعي" من

بسط نفوذ الفاطمين في البلاد لتتواصل انتصاراته العسكرية بعد ذلك، سنوات عكرة من المجاعات والأمراض أهلكت الكثير من السكان.

39 -جاء كتاب القاضي النعمان يناصر فكرة التشيع من وجهة نظر، ومرجعية مذهبية فاطمية، كون المؤلف من أتباع المذهب العبيدي الفاطمي، فهو يحاول إنصار الداعي بأي شكل من الأشكال، والدفاع عنه، مع تبرير تصرفاته، ويبشر دعوته، لهذا جاء الكتاب مهم لكل باحث مهتم بالمذهب، والدولة الفاطمية، لذلك جاءت مصنفاته أهم رافض فكري لفاطمي بلاد المغرب في التأسيس فهو مفتاح لاقتحام ما كان مجهول من تاريخ العبيديين ببلاد المغرب الإسلامي، فمقارنته بروايات أخرى يبقى لها أثر وتأثير بالرواية الأم، وكان الداعي "أبو عبد الله الشيعي" هو الذي نجح في تحمل عبء منهج تأسيس دولة انطلاقاً من المغرب الأوسط، وأخالف كل رأي يقول أن تأسيس الدولة راجع إلى "عبيد الله المهدي".

40 -وعلى الرغم ما وقفت عليه من نتائج، حول منهج الداعي في تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب الأوسط، إلا أن هذه الدراسة تبقى محاولة متواضعة، من باحثة جديدة فأعمال الإنسان مهما كانت لا تخلو من نقص، ويعلم الله مدى الصعوبات التي واجهتني من أجل أن أُخرج بها إلى النور، ولكن بحول الله ومنهُ تحملنا مشقة كل ذلك بعزم وثبات، راجين منه تعالى أجر الاجتهاد.

الملاحق

الملحق رقم (01): بقايا آثار قلعة إيكجان

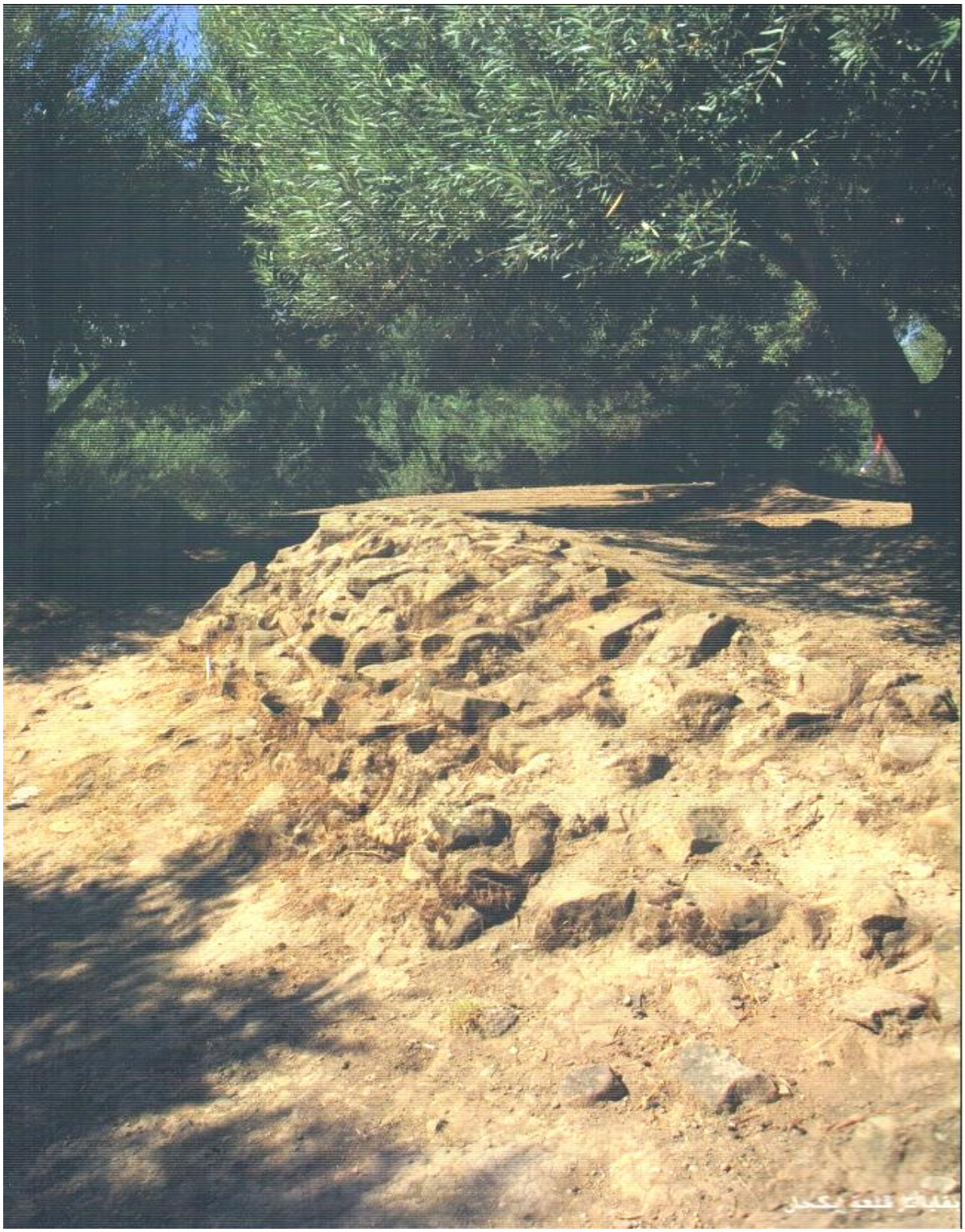

المرجع: مجهول: كتامة والحضارة الفاطمية، مرجع سابق، ص34.

الملحق رقم (02): بقايا آثار قلعة إيكجان

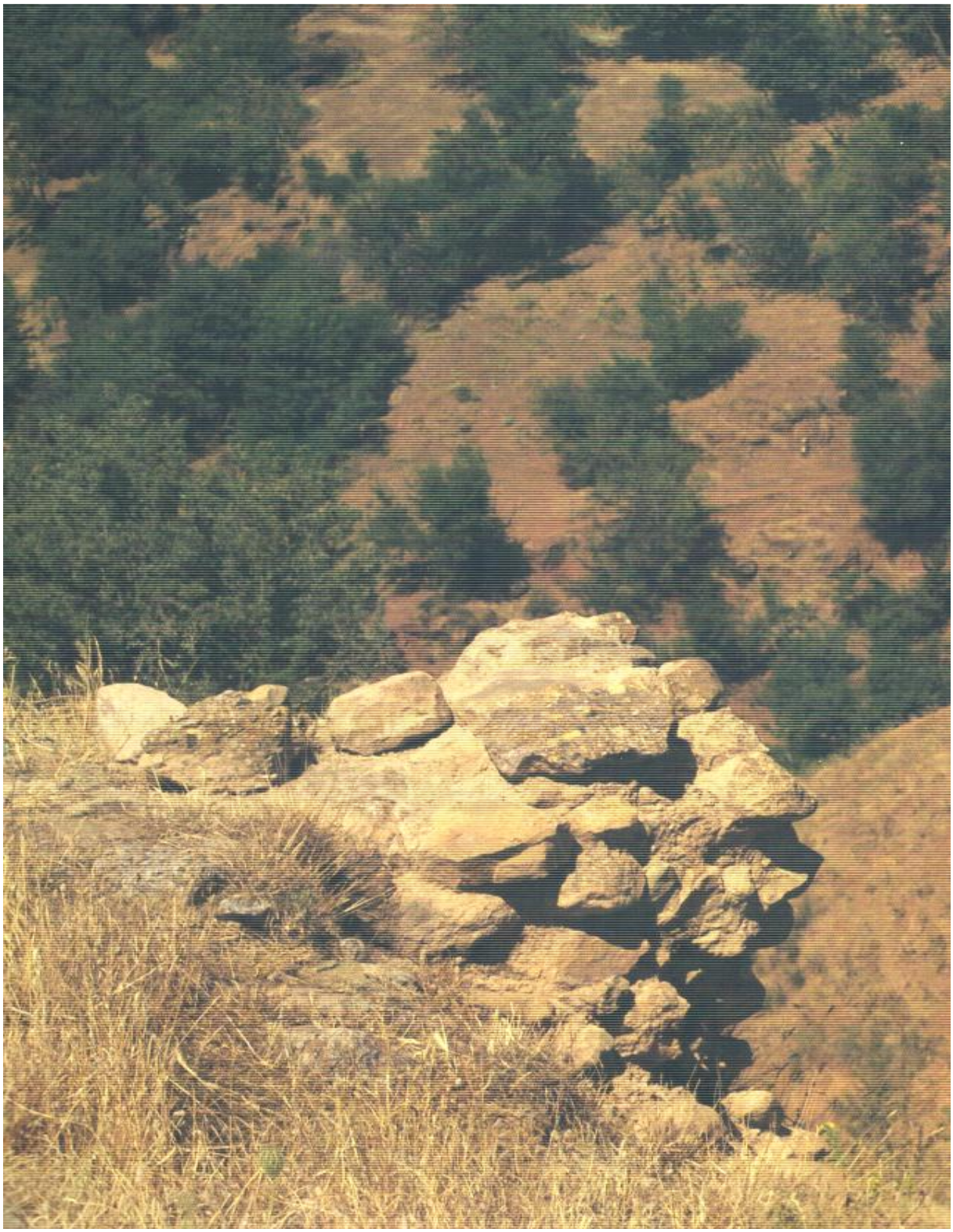

المرجع: مجهول: كتامة والحضارة الفاطمية، مرجع سابق، ص39.

الملحق رقم (03): يبين تمركز موقع إيكجان بين المدن الثلاث (قسنطينة، سطيف، ميلة).

المرجع: مجهول: كتامة والحضارة الفاطمية، مرجع سابق، ص18-19.

الملحق رقم (04): جندي الفاطمي

المرجع: مجهول: كتامة والحضارة الفاطمية، مرجع سابق، ص58.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

القرآن الكريم على رواية ورش، مؤسسة علوم القرآن.

1. إبن الأثير، أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن عبد الكريم الشيباني، (ت: 628هـ/1230م): **الكامل في التاريخ**، ج8.6، 9، دار الكتاب العربي، بيروت، 1949م.
2. ابن الآبار، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله أبي بكر القضاعي، (ت: 658هـ/1260م): **الحلة السيراء**، ج1، تح: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، تونس، 1968م.
3. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي، (ت: 668هـ/1962م): **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ج3، دار الثقافة، لبنان، 1981م.
4. ابن النديم، أبو الفرج مُحَمَّد بن إسحاق، (ت: 385هـ/995م): **الفهرست**، تعليق: الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1994م.
5. ابن الفقيه، أبو بكر بن مُحَمَّد، (ت بعد 290هـ/904-905م): **مختصر كتاب البلدان** ، ليدن، 1976م.
6. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت: 346هـ/957م): **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج1، تح: يوسف أسعد داغر، دار الأندلس، بيروت، لبنان.
7. ابن تيمية الحراني، تقي الدين أحمد، (ت: 728هـ/1328م): **مجموعة الفتاوى** ، 37مجلد، دار الوفاء، المنصورة، مكتبة العبيكان بالرياض، ط1، (1418هـ/1997م).
8. ابن جلجل أبو داود سليمان بن حيان الاندلسي، (ت: 384هـ/994م): **طبقات الأطباء والحكماء**، ج 3، تح: فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.
9. إبن حماد، أبو عبد الله بن علي الصنهاجي، (ت: 628هـ/1230م): **أخبار ملوك بني عبيد سيرتهم**، تح: التوهامي لقرع، وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة.
10. ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي، (ت:681هـ/1283م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977م.

11.ابن عدارى، أبو العباس بن أحمد المراكشي (ت: 712هـ/1312م): **البيان المغرب في أخبار المغرب**، ج1، تح ونشر: كولان وليفي بروفنسال، ط 2، ليدن، (1948-1951م)، باريس، 1930م.

12.ابن منظور مُحَمَّد بن مكرم علي الأنصاري، (ت: 711هـ/1311م): **لسان العرب**، ج14، دار صادر، بيروت.

13.ابن وردان: **مستند تاريخ ملكة الأغالبة**، تح: مُحَمَّد زينهم ومُحَمَّد عز.

14.الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (ت: 324هـ/935م): **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، جزءان، تح: محي الدين عبد الحميد، (ب ط)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

15.ابن الحزم، أبو مُحَمَّد علي بن سعيد الأندلسي، (ت: 456هـ/1064م): **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، مكتبة الخناجي، القاهرة، 1317هـ.

16.المعري أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان، (ت: 449هـ/1057م): **رسالة الغفران**، تح: فوزي عطوي، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968م.

17.أبو الفدى، إسماعيل بن علي عماد الدين، صاحب حمّاد، (ت: 732هـ/1331م): **المختصر في أخبار البشر**، جزءان، تح: مُحَمَّد الحاج صادق، 1938م.

18.النويري، شهاب الدين أحمد عبد الوهاب، (ت: 732هـ/1332م): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج26، تح: حسين نصار، المؤسسة المصرية للنشر والتوزيع، مصر، 1983م.

19.المقديسي، شمس الدين أبو عبد اله مُحَمَّد بن أحمد، (ت: 388هـ/998م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، لندن، 1909م.

20.الغزالي أبو حامد الطوسي النيسابوري، الصوفي الشافعي الأشعري، (ت: 505هـ/1111م): **فضائح الباطنية**، تح: جولد تسيهر ليدن، 1916.

21.القلقشدي، أبو العباس أحمد بن محمود، (ت: 821هـ/1413م): **نهاية الأرب في أنساب العرب**، ج27، تح: إبراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959م.

22.الدرجيني أحمد بن السعيد: **طبقات المشائخ بالمغرب** ، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م.

23. البلادري أحمد بن يحي، (ت: 279هـ/892م): **فتوح البلدان**،3 أجزاء، تح: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1957م.

24. الجوهري إسماعيل بن حماد، (ت: 393هـ/1003م): **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** ، تح: أحمد عبد الغفور، ط2، القاهرة، 1402هـ.

25. البكري الأندلسي، أبي عبيد الله بن عبد العزيز بن مُحَمَّد، (ت: 487هـ/1094م): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، تح: الأستاذ حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، لبنان، 2013م.

26. المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد، (ت: 845هـ/1442م): **إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء** ، ج 1، تح: جمال الدين الشيال، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996م.

27. الجودري، العزيزي، (كان حياً في القرن الرابع هجري/ العاشر ميلادي): **سيرة الأستاذ جودر**، تح: مُحَمَّد عبد الهادي شعيرة، وكامل حسين، دار الفكر، القاهرة، 1954م.

28. إبن الكثير الحافظ **أبو الفداء عماد الدين إسماعيل** بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القرشي المعروف بـ(**ابن كثير**)، (ت:774هـ): **البداية والنهاية**، ج11، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط3، 1978م.

29. ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، (ت:626هـ/1229م): **معجم البلدان**، 8 أجزاء .القاهرة، 1906م.

30. الداعي إدريس عماد الدين بن الداعي الحسن بن الداعي عبدالله بن علي بن مُحَمَّد بن حاتم القرشي، (ت:872هـ): **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب**، ج5، تح: مُحَمَّد اليعلاوي، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م.

31. الدرجيني أحمد بن سعيد، (ت: 670هـ/1271م): **طبقات المشايخ بالمغرب** ، ج 1، تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1974م.

32. سليمان الباروني: **مختصر تاريخ الإباضية**، طبعة القاهرة، (1324هـ).

33. الشهرستانيي أبي الفتح مُحَمَّد عبد الكريم، (ت: 548هـ/1153م): **الملل والنحل**، ج 1، تح: الأستاذ أحمد فهمي مُحَمَّد، ط2، دار الكتب العلمية، ط2، 1413هـ.

34. ابن خلدون عبد الرحمان، (ت: 808م): **تاريخ إبن خلدون**، ج4-5-6-8، تح: سهيل زكار وخليل شحاذة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م.

35. عبد الرحمان ابن خلدون: **تاريخ العلامة ابن خلدون**، ج8، سلسلة الأنيس للعلوم الإنسانية، الجزائر، 2007م.

36. بن خلدون عبد الرحمان: **مقدمة**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، (1426هـ-1427هـ)، بيروت، لبنان، 2006م.

37. المراكشي محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي، (ت: 647هـ/1250م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، القاهرة، 1949.

38. الغبريني، أبو العباس أحمد ابن عبد الله (ت 644هـ/714هـ): **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح: رابح بونار، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

39. القاضي النعمان، أبو حنيفة بن مُحَمَّد بن حيون التميمي المغربي، (ت: 363هـ/974م): **المجالس والمسايرات**، تح: الحبيب الفقي، إبراهيم شبوح، ومُحَمَّد اليعلاوي، المطبعة التونسية، 1978م.

40. القاضي النعمان: **رسالة افتتاح الدعوة**، تح: وداد قاضي، دار الثقافة للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1970م.

41. النوبختي، أبو مُحَمَّد الحسن بن موسى، (ت: 302هـ/914م): **فرق الشيعة**، عني بتصحيحه، ريتر، طبعة اسطنبول، 1931م.

42. أبو زكريا يحي بن أبي بكر، (توفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر ميلادي): **كتاب سير الأئمة الرستميين وأخبارهم**، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

43. ابن حوقل، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله، (ت حوالي 300هـ/913م): **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م.

44. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، (ت: 284هـ/898م): **البلدان**، المكتبة الجغرافية العربية، ط2، ليدن، 1829م.

45. ابن خرداذبة : **المسالك والممالك** ، نشر وترجمة مُحَمَّد الصادق ، الجزائر ، 1949م

46. ابن نديم (383هـ): **الفهرست**، القاهرة 1348هـ .

ثانياً: المراجع العربية والمعربة:

أ -المراجع العربية:

47. أحمد مختار العبادي: **في التاريخ العباسي والأندلسي**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

48. مُحَمَّد حسن العيدروس: **المغرب العربي في العصر الإسلامي** ، دار الكتاب الحديث، ط 1، 2008م

49. ريمة درنيقة: **الفتح العربي للمغرب والحضارة المغربية** ، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط 1، 2012م

50. هشام جعيط: **ولاية إفريقية في القرن الثاني هجري والثامن ميلادي** ، مجلة الدراسات الإسلامية.

51. عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام** ، ج 1، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، طبعة 2010م.

52. سالم فرج: **العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية**، الإسكندرية، مصر، 1981م

53. أحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي**، ج4، ط7، القاهرة، 1948م.

54. صالح بن قربة: **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، الجزائر.

55. حسين مؤنس: **معالج تاريخ المغرب والأندلس**، القاهرة، ط1، 1980م.

56. الحسن السائح: **الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط2، الدار البيضاء، 1986م

57. رابح بونار: **المغرب العربي في تاريخهُ وثقافته**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.

58. مُحَمَّد الصالح مرامول: **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

59. مجهول: **كتامة والحضارة الفاطمية**، وزارة الثقافة، الجزائر، (د، ط)، 2007م.

60. جمال الدين الشيال: **مجموعة الوثائق الفاطمية** ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط 1، (1422هـ، 2002م).

61. عبد العزيز سالم: **تاريخ الدولة العربية** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1971م.

62. الطيب برغوت: **منهج النبي في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها من خلال الفترة المكية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة قضايا الإسلامي.

63. مُحَمَّد فاروق النبهان: **المدخل للتشريع الإسلامي**، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1981م.

64. مُحَمَّد سهيل طقوش: **تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام** ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، (1428هـ/2007م).

65. علي حسني الخربوطلي: "**أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**"، القاهرة، 1972م.

66. مُحَمَّد عبد الحي شعبان: **الفاطميون**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981م.

67. موسى لقبال: **دور كتامة في الخلافة الفاطمية** ، ج1، دار الأمل لدراسات والتوزيع، سحاولة، الجزائر،2007م.

68. بوزياني الدراجي: **دور الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس** ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

69. الحسيني العاملي: **أعيان الشيعة**، ج11، ط2، 1954م.

70. عثمان السعدي: **الجزائر في التاريخ**، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة 2012م.

71. أحمد مختار العبادي : **في تاريخ المغرب والأندلس** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1978م.

72. عادلة علي الحمد : **قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب** ، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، 1980م.

73. عبد الله كمال موسى عبره: **الفاطميون وآثارهم المعمارية في إفريقية ومصر واليمن** ، دار الآفاق العربية، ط1، (1421هـ، 2001م).

74. موسى لقبال: **ملحمة أبي عبد الله الإيكجاني (مذهبية وتوحيد)** ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1990م.

75. لخضر سيفر: **التاريخ السياسي لدول المغرب الإسلامي**، ج1، دار الأمل للدراسات، الجزائر، 2007م.

76. بوبة مجاني: **المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب**، منشورات الزمن، 2005م.

77. جمال الدين سرور: **تاريخ الدولة الفاطمية**، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة.

78. عبد المنعم ماجد: **ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر** ، دار الفكر العربي، ط 1، 1994م.

79. مُحَمَّد أبو زهرة: **الإمام جعفر الصادق**، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.

80. مُحَمَّد أبو زهرة: **المذاهب الإسلامية**، ج2، دار الفكر العربي.

81. عثمان الكعاك: **موجز التاريخ العام للجزائر**، ط تونس (1344هـ- 1825م).

ب – المراجع المعربة:

82. كارل بروكلمان: **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، نقلهُ إلى العربية: فارس والبعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط8، 1979م

83. مُحَمَّد طالبي: **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي**، دار الغرب الإسلامي، 1995.

84. فرحات الدشراوي: **الخلافة الفاطمية بالمغرب** ، ترجمة إلى العربية حمادي ساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م

85. موريس لومبار: **الإسلام في مجده الأول** ، تر وتع: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1979م.

86. آدم ميتز: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري** ، ج2، تر: عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، 1940م.

87. مولود قايد: **البربر عبر التاريخ من الكاهنة إلى العصر التركي**، منشورات ميموني هشام، ط4، الجزائر، 2001.

88. أندري برنيان وآخر: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: اسطنبول رابح، ومنصور عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

89. رشيد بورويبة وآخرون: **الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي** ، تع: مُحَمَّد بلقراد، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

90. بن الصديق سليمان: **أثر الحركات المذهبية في الكتابات التاريخية ببلاد المغرب في القرنين (3و4هـ– 9و10م)**، دراسة نماذج، إشراف الأستاذ الدكتور: بحاز إبراهيم، غرداية، 2014-2015م.

91. مجاني بوبة: **النظم الإدارية ببلاد المغرب خلال العصر الفاطمي** ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف الأستاذ: محمود إسماعيل عبد الرزاق، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، الجزائر، *1995*م.

رابعاً: المعاجم والموسوعات:

92. علي بن هادية وآخرون: **القاموس الجديد للطلاب**، تق: مُحَمَّد المسعدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط*7*، (1411هـ-*1991*م).

خامساً: الدوريات:

93. مُحَمَّد الناصر الصديقي: " **عصور**" منشورات مخبر البحث التاريخي، (مصادر وتراجم)، العدد20، جانفي، جوان، 2013م.

94. ميتز، أدم: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** ، ج2، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، 1940م.

سادساً: المراجع باللغة الأجنبية:

95. Mohamed TALBI: **L'Emirat aghlabide histoire politique maisonne**, Paris,1966
96. Grand Larousse universel, (France, 1987) .
97. A.Gateau : **la sira de jafar-hajib dans hesperis**,1947.
98. Bousquet (G-H) : **Les Berbères**, Presses Universitaires *de* France, 1967
99. Charles André julien : **histoire de l'Afrique du nord**, payot, Paris, 1952.
100. Ivanow: **The organization of the Fatimid Propoganda**, voi, 15. JBBRAS 1939.
101. Laoust (H): **les schismes dans l'islam**, Paris, P143.

المواقع الإلكترونية:

102. kfiporg/ar/profcssor-wadad-ofif-kadi/8:00 تاريخ الإطلاع 2016/5/11، الساعة:

الفهارس

41 – فهرس الآيات

42 – فهرس القبائل

43 – فهرس البلدان

44 – فهرس الأعلام.

45 – فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الآية	السورة	الصفحة
«لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ»	**البقرة: 286**	**11**
«...فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ...»	**القصص: 15**	**56**
«وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ»	**الصافات: 83**	**56**
«وإذا بطشتم بطشتم جبارين»	**الشعراء: 130**	**82**

فهرس القبائل

القبيلة	الصفحة
أ	
الإباضية	7، 14، 35، 68، 69، 71، 72
الأغالبة	4، 6، 13، 14، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 34، 35، 47، 60، 68، 77، 80، 81، 83، 84، 90، 96، 99
الأفارقة	18، 20
أوجانة	60
الأوراس	37، 49
أوروبة	41
البتر	41، 95
البرانس	41، 42، 95
البربر	7، 8، 14، 15، 18، 19، 20، 28، 36، 37، 41، 42، 49، 54، 68، 72، 95
الخرسانيون	20
الخوارج	9، 14، 21، 48، 72
الروم	18، 20، 27، 28
الرومان	18، 28
السناجرة	19
الصفرية	14
العبيد	20
العرب	7، 13، 16، 18، 19، 20، 25، 28، 88
القحطانية	19
المسيحية	19

المصامدة	43
ب	
باجة	13، 16، 20
برغواطة	43
برنس	42، 49
بن تميم	60
بن خزيمة	19
بنو أبي خنزير	19
بني أسد	19
بني سكتان	15، 50، 51، 52، 60، 61، 62، 63، 66
بني سليم	19، 80
بني ضبة	19
بني غشمان	63، 65
بني مالك	19، 80
ج	
جميلة	65
و	
وزداجة	20
ولهاصة	60
ز	
زواوة	41، 48، 65
ك	
كتامة	15، 16، 18،17، 21، 37، 40، 41، 42، 43، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 54، 57، 60، 61، 62، 63، 64، 66، 68، 69، 70، 71، 72، 74، 75، 77، 78، 79، 90، 91، 94

كثم	72
ل	
لطانة	60، 65
م	
متوسة	60
ملزوة	65
ن	
نقرة	20
ع	
عجيسة	41، 65
عدنانية (حمير)	19
ص	
صنهاجة	41، 43، 49
ر	
ربيعة	19، 80
ت	
تلكاتة	78
تيجس	20، 84

فهرس البلدان

البلد	الصفحة
أ	
الأربس	16، 37، 84
إفريقية	13، 14، 15، 17، 18، 19، 21، 23، 24، 26، 27، 28، 36، 41، 42، 43، 49، 60، 65، 66، 78، 82، 84، 96

أمريكا	87
الأندلس	13، 23، 26، 32، 39
أنطايلس	13
أوروبا	39
إيكجان	15، 48، 50، 58، 60، 62، 63، 65، 71، 78، 81، 82، 83، 93، 95
البابور	48
البصرة	43، 73
الجريد	20، 37
الجزائر	13، 78
الحجاز	13، 44
الزاب	16، 19، 20، 83
السودان	22، 39
الشام	13، 24
الشرق الأدنى	87
الشريط الساحلي	16، 22، 42
الشمال الإفريقي	19
القل	48
القلعة	78
القيروان	13، 19، 20، 22، 24، 25، 26، 27، 47، 52، 67، 73، 86، 90، 94
الكوفة	37، 43، 52، 70
المحيط الإطلسي	18
المدنية المنورة	24
المستير	27

المشرق العربي	22
المغرب الأدنى	78
المغرب الإسلامي	18، 26، 28، 34، 35، 36، 37، 39، 40، 41، 42، 45، 46، 47، 49، 50، 52، 55، 56، 59، 68، 69، 73، 77، 93، 94، 98، 99، 100
المغرب الأقصى	43، 78
المغرب الأوسط	31، 41، 42، 49، 77، 78، 86، 93، 94، 95، 96، 98، 99، 100
المملكة العربية الأردنية	88
المهدية	27، 78
الناظور	37
النيجر	18، 41
ب	
باجة	13، 16، 20
باغاية	20، 38، 94
بجاية	6، 48، 78
برقة	13
بغداد	26، 27، 57، 96.
بلزمة	، 16، 19، 20، 60، 80، 83، 84
بنزرت	13
بني رستم الإباضية	35
بونة	13
بيروت	87
ج	
جبل درنة	43

جرجرة	49
جنوب إيطاليا	17
د	
دار ملول	84
دلس	48
و	
وادي ملوية	78
وادي مزاب	86
ورجلان	86
ط	
طبنة	19، 78، 83، 94
طرابلس	13، 16، 19، 49
ك	
كستة	17
كولومبيا	87
ل	
لبنان	87
ليبيا	13، 19
م	
مالي	41
مجانة	20، 84
مرماجنة	37، 38
مصر	13، 18، 24، 41، 45، 47، 71، 87
مقرة	19

مكة	32، 43، 44، 45، 48، 69، 98
ملوسة	81، 82
ميلة	17، 19، 48، 60، 61، 64، 65، 66، 78، 79، 80، 81، 83، 94
ن	
نفطة	37، 38، 39
نفوسة	16
س	
سجلماسة	22، 24، 85
سدراته	86
سطيف	19، 48، 60، 64، 65، 73، 80، 81، 82، 83، 94
سكيكدة	48
سلمية	56
سوجمار	37
سوسة	13، 19، 20، 27
سوق أهراس	48
سيلا	43
ف	
فاس	19
فج الأخيار	50، 51، 71، 72
فج مزالة	48
ص	
صطفورة	20
صفاقس	13، 19

صقلية	13، 15، 17، 19
صنعاء باليمن	43، 45
ق	
قالمة	48
قرطاج	14، 18
قسنطينة	13، 22، 48، 65
قفصة	13، 94
قمودة	16
ر	
رقادة	15، 16، 17، 20، 23، 27، 68، 84، 85
ش	
شبه الجزيرة الإيطالية	15
شكاقو	87
ت	
تابابور	48
تالا	37
تنس	40، 44، 78
تونس	13، 16، 19، 20، 27، 49
ث	
تازورت	62، 63، 64، 65
تاسدست	82
تامسنان	43
تاهرت	77، 78، 85، 86، 99

فهرس الأعلام

الأعلام	الصفحة
أ	
أبا السير إبراهيم بن مُحَمَّد الشيباني	25
إبراهيم بن أحمد الأغلبي	13
إبن الأثير	46
ابن الصماصمة	20
ابن الفضل	90
ابن المعتصم	17
ابن تيمية	33
ابن حمّاد الجوهري	55
ابن حوشب	33، 35، 44، 45، 52، 72، 90، 92
إبن خلدون	14
ابن منظور	33
ابن هرقب	20
أبو القاسم الحسن	44
أبو اليسر	68
أبو تميم فحل بن نوح	60
أبو خفاجة	16
أبو زاكي	64
أبو سفيان	31، 33، 34، 37، 38، 52
أبو عبد الله الشيعي	13، 15، 17، 19، 27، 28، 31، 34، 37، 52، 57، 62، 65، 66، 68، 70، 71، 77، 78، 89، 99، 100
أبي الحول	17

أبي العباس	17، 27، 73
أبي الغرانيق	16
أبي المقارع	83
أبي حنيفة النعمان بن ثابت	87
أحمد الأغلبي (إبراهيم الثاني)	14
أسد بن فرات	24
إسماعيل بن جعفر	59
أم موسى	37
البغدادي	25
الحسن هارون الغشمي	63
الحسين بن القاسم	37
الحلواني	33
الدرجيني	43
الشهرستاني	55
الفزراري	25
القاضي النعمان	16، 46، 51، 58، 77، 86، 87، 88، 89، 90، 100
القاضي عياض	26
الكاهنة	14، 21
المراكشي	13، 92
المسعودي	43
المعتضد	16
المقريزي	52
المهدي بن أبي كناوة	60
ب	

بن الصديق سليمان	88
بن حماد الجوهري	55
بيان بن صقلان	61، 62
ج	
جعفر الصادق	33، 35، 36، 44، 52، 54، 56، 59، 75
د	
داود بن حباسة الهيصي	83
هـ	
هارون الرشيد	14
هارون الطنبي	34
هارون بن يونس	74
و	
وحي بن تميم	60
ز	
زياد بن سهل	14
زيادة الله	27
زيادة الله الثالث	23، 81، 82، 84
زين العابدين بن الحسين	35
ح	
حريث الجميلي	46، 48، 69، 72
حمديس	26
حنظلة بن صفوان	14
ك	
كريم بن زرزور	16

كسيلة	21
م	
مازيغ	49
مُحَمَّد بن إسماعيل	58
مُحَمَّد بن الأشعث	14
موسى الكاضم	59
موسى بن عياش	60، 65، 66
موسى بن مكارمة	46،69
س	
سحنون	24، 25، 26
ع	
عبد السلام بن السعيد التونجي	24
عبيد الله	40، 58
عقبة بن نافع الفهري	27
علي بن أبي طالب	55، 58، 59، 93
علي بن عسلوجة	60
عمر بن الخطاب	57
عمر بن عبد العزيز	24
عيسى بن موسى الخرساني	14
ف	
شيب بن أبي شداد	83
فاطمة وعلي	58
فتح بن يحي المساتي	60

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
المختصرات	
المقدمة	11-01
الفصل التمهيدي: أوضاع دولة الأغالبة قبيل قيام دولة الفاطميين	
تمهيد	13
1) الأوضاع السياسية	13
2) الأوضاع الاجتماعية (التركيبة السكانية)	18
3) الأوضاع الاقتصادية	21
4) الأوضاع الثقافية والحضارية العمرانية	23
الفصل الأول: بواكير الدعوة الشيعية بالمغرب	
تمهيد	31
المبحث الأول: أبو سفيان والحلواني في المجالات الكتامية	31
1) مفهوم الدعوة	32
2) مراحل المنهج الدعوي الإسلامي	33
3) مراحل المنهج الدعوي الإسماعيلي	33
4) عوامل انتشاره	39
المبحث الثاني: حجاج كتامة والدعوة الشعية	40
1) المفهوم الجغرافي للبربر	41
2) مفهوم الباطنية	44
المبحث الثالث: نزول الداعي المشرقي عند كتامة	48

1) المفهوم الجغرافي لكتامة	48
الفصل الثاني: الصراع الفكري الدعوي في نشر التشيع للمغرب	
تمهيد	54
المبحث الأول: خلافات كتامة على الداعي	54
المبحث الثاني: بداية الاحتكاك الأغلبي للدعوة الشيعية	65
المبحث الثالث: هيكلة فكرة التشيع عند كتامة	68
الفصل الثالث: الصراعات العسكرية بين الداعي وسلطة الأغالبة	
تمهيد	77
المبحث الأول: الصراعات في مجالات المغرب الأوسط	77
1) منهجه في مجال ميلة (289هـ/903م)	79
2) منهجه في مجال سطيف: (291هـ– 903م)	82
3) منهجه في مجال طبنة (293هـ– 905م)	83
4) منهجه في مجال تاهرت الرستمية (297هـ– 910م)	85
المبحث الثالث: انتصار فكرة التشيع من خلال كتاب إفتتاح الدعوة للقاضي النعمان	86
1) دراسة ظاهرية للكتاب	86
2) الدراسات الباطنية للكتاب	89
3) القيمة التاريخية للكتاب	92
المبحث الثاني: العوامل المساعدة على قيام الفاطميين بالمغرب الأوسط	93
1) عوامل دينية مذهبية	95
2) عوامل سياسية وعسكرية	95
3) عوامل اقتصادية	95
4) عوامل جغرافية	96
الخاتمة	98
الملاحق	101

قائمة المصادر والمراجع	106
الفهارس	115
فهرس الآيات	116
فهرس القبائل	117
فهرس البلدان	119
فهرس الأعلام	125
فهرس الموضوعات	129

منهج الداعي في تأسيس الدولة الفاطمية بالمغرب الأوسط

(280 هـ –298 هـ / 893م –911 م)

إن الأحقية بالخلافة نابعة من عصبية قبلية، استمدت وجودها من فكرة دينية مقدسة، وهذه البذرة الوراثية الملكية، انبثقت عن ما يعرف بالشعية ، التي اختارت أرض المغرب الإسلامي، إذ رأت فيه الأرض الخصبة و الممهدة لزرع أفكارها ، و معتقداتها ، و إن وجودها لم يكن بمحض الصدفة إنما كان بتخطيط دعوي مسبق من قبل أكابر الدعاة كإبن حوشب الملقب بـ "بمنصور اليمن" ، الذي يرجع له الفضل في إرسال الداعية "أبو عبد الله الشعي"، وكان موسم الحج فرصة لنصر منهج دعوته ، عن طريق استمالة وفد كتامة، فاصطحبته الجماعة معهم، نزل بالقيروان، واكتشف مواطن الضعف فيها، ثم واصل مسيرته نحو كتامة، فنزل ضيفا في إيكجان، عند "بني سكتان" سنة (280هـ–893م) فوجد الأرض ممهدة من قبل الداعيين "أبو سفيان و الحلواني" الذين أرسلهما الإمام "جعفر الصادق" سنة (145هـ – 762 م)، وأجبرهما بافتراق عن بعضهما، حيث نزل الأول بالناضور ، و الثاني "بتالة" ، استطاع الداعي أن يضم كل القبائل تحت جناحه، وبمنهجه استطاع هيكلة فكرة التشيع عند كتامة ، لكن هذا النجاح سرعان ما لقي خلافات ومعارضات من قبل بعض الكتاميين إلا أنه بفضل ذكاء منهجه حسم الأمر، وضم بعض الأغالبة لدعوته، استغل الداعي تدهور أوضاع دولة الأغالبة، فاستولى على عواصمها الواحدة تلو الأخرى، فتوالت انتصاراته العسكرية، حتى استولى على ميلة وسطيف، وطنبة، ثم العاصمة "تاهرت"، فقضى على الرستميين، وضم أملاكهم إلى الدولة الفاطمية ، جاهد الداعي لتحقيق حلم السلف في تأسيس الدولة الفاطمية، لكن هذا الحلم عجل بنهايته عند انتصابها بالمغرب الأدنى ، إذ كان المغرب الأوسط دفعا حقيقيا لتأسيس دولة قوية الأوتاد .

Le projet du « dâii » dans la fondation de l'état Fatimide dans le Maghreb central. (280 – 298 / 893-911AD)

La légitimité au pouvoir s'inspire du fondement tribal ,son existence est du à une idée religieuse sacrée. Et ce gèrme royal héréditaire issu du chi'isme qui a prefèrè le Maghreb islamique en lequel il y voyait la terre propice à leurs idées et leurs croyances. Son existence n'était pas par pur hasard mais basée sur une stratégie tracée par les plus grands leaders comme Ibn Hawcheb surnomé Al –Mansour Al-Yamani. C'est auprès de lui qu'a été envoyé le ''dâ'ï'' Abu-Abd-Allah ach-Chi'i .

La saison du pélrinage à la Mecque, fut une opportunité pour propager ses idées ismaéliennes à travers la tribu Kutama qui l'avait amené à Kairouan. Là, il découvrit leurs points faibles. Puis, il a poursuivi son itiniraire qui l'a amené à Ikdjan chez les Bén Sektan. (en l'an 280 h., 893 a.j.c.) où il a trouvé un terrain propice déjà préparé par les dâ'ites Abu-Soufiane et Halwani qui ont été envoyés par l'imam Jafar As-Sadiq (145h. , 762 a.j.c.) l'un à Nadour et l'autre à Talla.

Abu-Abd-Allah ach-Chi'i, a pu unifier les tribunes sous son aile et avec son projet, il a pu aussi réorganiser le Chiisme chez les Kutamas. Or, ce succés eu bientôt rencontré des désaccords et des objections de certains Kutamas.Mais, une fois de plus , grâce à l'intelligence de son approche, il résolut les différents. Il a ralié certains Aghalabides à son rang. Le ''dai'i'' profita de la décadence de la situation de l'état Aghalibide. Il occupa les grandes capitales l'une après l'autre : Mila, Setif, Tubna et la capitale Taher (Tiaret). C'est ainsi qu'il vaincut les Rostémides et fini par faire l'annexion de leurs biens et propriétés avec ceux des Fatimides. La réalisation de ce rêve précipita sa fin juste au moment de la réalisation de son état et son ralliement avec le petit Maghreb. Alors que le Maghreb central a été un véritable coup de pouce à la création d'un état aux fondations très fortes.

Daii's approach for the establishment of the Fatimid state in Morocco (280 BC - 983 BC / 298 BC - 911 BC)

The eligibility succession stemming from tribalism, derived their existence from a holy religious idea, and this property and genetic seed had created what are known as Shiites, that the land of the Islamic Maghreb has chosen as fertile ground saw it and paved to plant ideas and beliefs and that its presence was not a coincidence but it was planned in advancebefore by the senior preachers Ibn-Hawshab aka "Mansour EL-Yemen" , which is widely credited to send preacher Abu Abdullahshii, barley was the pilgrimage season opportunity to insist curriculum call via coax kutama's delegation, After they took him with them, came down Kairouan, and discovered weaknesses and then continued its march towards Kutama, went down a guest in Ekijan,at « baniSektan 280 AH - 839 BC. He found the land smoothed by two preachers "Abu Sufyan andHalaouani" who were sent by the Imam Abu Ja'far al-Sadiq(145 AH - 762 BC) and forced them on the separation of each other, where the first down in AL-Nadour and second in Thala, Daii succeeded to includes all tribes under his wing and byusing his method, he became able to restructure the idea of Shiite , but this success was soon met with disagreements and objections by some people from Kutama. However, thanks to the intelligent approach to resolve the matter and included some Aghlabids of his state, Daiitook advantage from the deterioration of the situation of the state Aghaliba, taking down their capitalsone after the other, continuous series of militaryvictories even took Mila ,Setif and Tabnah then capital Tahart. Then , he destroyed Rustamids and their property had been annexed to the Fatimid dynasty. Daiilabored for the establishment of the Fatimid state, but this dream precipitated its end when upright in the Lawest-Maghreb since the Midle-Maghreb was a real impetus to the establishment of strong states pickets.